

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير القرطبي

سورة هود

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

	المكان:	١٤٣١/١١/١٨ هـ	تاريخ المحاضرة:
--	---------	---------------	-----------------

"بَيَّنَّ أَنَّهُ أَتَبَعَ النَّبِيَّ النَّبِيَّ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ، وَإِرَاحَةِ كُلِّ عِلَّةٍ بِآيَاتِنَا أَيْ بِالتَّوْرَةِ. وَقِيلَ: بِالمُعْجَزَاتِ. "وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ" أَيْ حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ؛ يَعْنِي الْعَصَا. وَقَدْ مَضَى فِي "آلِ عِمْرَانَ" مَعْنَى السُّلْطَانِ وَاشْتِقَاقُهُ فَلَا مَعْنَى لِلْإِعَادَةِ. {إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ} [هود: ٩٧]."

الآن أتبع النبي بالنبي، فهل موسى أتبع شعيباً؟ القصة السابقة قصة شعيب {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا} [هود: ٩٦]، يقول: إنه أتبع النبي النبي لإقامة الحجّة، فهل أتبع موسى شعيباً؟ نعم طالب:

أليس النبي السابق شعيب قصة شعيب مع قومه؟

طالب:

نعم، {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا} [هود: ٩٦] أو نقول: هذه "الواو" لمطلق الجمع، ولا تقتضي ترتيباً، ولا تعقيباً؟ يعني بين موسى وشعيب أحد أم ما بينهم أحد؟ الأكثر على أن موسى بينه وبين شعيب مفاوز كثيرة؛ لأن شعيباً من المتقدمين، وليس هو صاحب موسى، على ما تقرر في الدرس الماضي.

"{إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ} [هود: ٩٧] أَيْ شَأْنَهُ وَحَالَهُ، حَتَّى اتَّخَذُوهُ إِلَهًا، وَخَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى.

{وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ} [هود: ٩٧] أَيْ بِسَدِيدٍ يُؤَدِّي إِلَى صَوَابٍ؛ وَقِيلَ: "بِرَشِيدٍ" أَيْ بِمُرْشِدٍ إِلَى خَيْرٍ".

"أمره" إذا كان أمره ليس برشيد، فمن باب أولى أن يكون ليس برشيد هو، ولا شك أن من يدعو الناس إلى عبادته في غاية السفه، بعيد كل البعد عن الرشد.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [هود: ٩٨] يَعْنِي أَنَّهُ يَتَقَدَّمُهُمْ إِلَى النَّارِ إِذْ هُوَ رَأْسُهُمْ. يُقَالُ: قَدَّمَهُمْ؟

قَدَّمَهُمْ.

"قَدَّمَهُمْ قَدَمًا وَقُدُومًا إِذَا تَقَدَّمَهُمْ. {فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ} [هود: ٩٨] أَيْ أَدْخَلَهُمْ فِيهَا. ذَكَرَ بِلْفِظِ الْمَاضِي، وَالْمَعْنَى فَيُورِدُهُمُ النَّارَ، وَمَا تَحَقَّقَ وَجُودُهُ فَكَأَنَّهُ كَائِنٌ؛ فَلِهَذَا يُعْبَرُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ بِالْمَاضِي".

المستقبل إذا كان متحقق الوقوع يعبر عنه بالماضي، كما في قوله تعالى: {آتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} [النحل: ١] هو ما أتى بعد، لكن سيأتي، لكن نظرًا لتحقيق وقوعه عبر عنه بالماضي.

وَبُسِّسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ" أَيِ بُسِّسَ الْمَدْخُلُ الْمَدْخُولُ، وَلَمْ يَقُلْ: بُسِّسَتْ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ يَرْجِعُ إِلَى الْمَوْرُودِ، وَهُوَ كَمَا تَقُولُ: نِعْمَ الْمَنْزِلُ دَارُكَ، وَنِعْمَتِ الْمَنْزِلُ دَارُكَ. وَالْمَوْرُودُ الْمَاءُ الَّذِي يُورَدُ، وَالْمَوْضِعُ الَّذِي يُورَدُ، وَهُوَ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ.

"المورد" المكان الذي يورد، كما تورد الإبل الماء هؤلاء يوردون النار، نسأل الله العافية، والورد معروف يرد الماء ليشرب، وهنا يوردون النار ليعذبوا، نسأل الله العافية.

ولم يقل: بسست قال: بسس لماذا؟ الورد مؤنث أم مذكر؟ قال: لأنه أراد المورود "المورود" مذكر الذي هو اللفظ، لفظ المورود مذكر، وإنك كان المراد به مؤنثاً وهو "النار"، نسأل الله العافية، فذكر إتباعاً للفظ.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً} [هود: ٩٩] أَي فِي الدُّنْيَا. "وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ" أَي وَلَعْنَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى. بَسِّسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ" حَكَى الْكِسَائِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: رَفَدْتُهُ أَرْفُدُهُ رَفْدًا؛ أَي أَعْنَيْتُهُ وَأَعْطَيْتُهُ. وَأَسْمُ الْعَطِيَّةِ الرَّفْدُ، أَي بَسِّسَ الْعَطَاءَ وَالْإِعَانَةَ.

وما زال المعنى مستعملاً، اللفظ لهذا المعنى مستعمل، العطية تسمى رَفْدًا، الذي يذهب يسأل الناس لحاجته، إما بسبب دية أو جائحة أو ما أشبه ذلك، يقال: ذهب فلان يسترفد أي يطلب "الرفد"، وهو العطية والإعانة.

وَالرَّفْدُ أَيْضًا الْقَدْحُ الضَّخْمُ، قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ، وَالتَّقْدِيرُ: بَسِّسَ الرَّفْدُ رَفْدًا مَرْفُودًا. وَذَكَرَ الْمَاوَرِدِيُّ: أَنَّ الرَّفْدَ يَفْتَحُ الرِّاءَ الْقَدْحُ، وَالرَّفْدُ بِكسْرِهَا مَا فِي الْقَدْحِ مِنَ الشَّرَابِ، حُكِيَ ذَلِكَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ، فَكَانَتْ نَمَّ بِذَلِكَ مَا يَسْقُونَهُ فِي النَّارِ. وَقِيلَ: إِنَّ الرَّفْدَ الزِّيَادَةُ، أَيِ بَسِّسَ مَا يَزِيدُونَ بِهِ بَعْدَ الْغَرَقِ النَّارَ، قَالَهُ الْكَلْبِيُّ.

يسمى ما في القدح من طعام وشراب "رفدًا"، وأيضًا هذا فيه قريب مما يستعمل إذا كان الطعام قليلاً مثلاً يقال: خذ هذه الحاجة ارفد بها طعامك، ما أكل أكلاً كالمعتاد فيرفده، فإذا كان الغداة خفيفاً لصار العصر كالمكسرات ترفده مثلاً، يستعملون هذا، نسأل الله العافية.

فهذا العذاب، وهذه النار لهم رقد، إذا كان هذا الرفد ييرادهم النار، نسأل الله العافية، {غُدْوًا وَعَشِيًّا} [غافر: ٤٦]، فكيف بطعامهم الأصلي؟ نسأل الله السلامة والعافية.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقْصَةٌ عَلَيْكَ} [هود: ١٠٠] "ذَلِكَ" رُفِعَ عَلَى إِضْمَارٍ مُبْتَدَأٍ، أَيِ الْأَمْرِ ذَلِكَ. وَإِنْ شِئْتَ بِالْإِبْتِدَاءِ؛ وَالْمَعْنَى: ذَلِكَ النَّبَأُ الْمُتَقَدِّمُ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقْصَةٌ عَلَيْكَ.

{مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ} [هود: ١٠٠] قَالَهُ قَتَادَةُ..

قال قتادة.

"قَالَ قَتَادَةُ: الْقَائِمُ مَا كَانَ خَاوِيًا عَلَى عُرُوشِهِ، وَالْحَصِيدُ مَا لَا أَثَرَ لَهُ. وَقِيلَ: الْقَائِمُ" ..

قائم، قائم، إذا مررت على القرى المهجورة منها ما هو قائم البيوت قائمة ما تهدمت، لكن هجرت تركت، عمل الناس بيوتًا جديدة، وخرجوا وتركوها، ومنها ما هو حصيد، الطين إذا تتابع عليه المطر وهجر يسقط، ثم يصير حصيدًا كأنه نبات محصود لا وجود له.

"وَقِيلَ: الْقَائِمُ الْعَامِرُ، وَالْحَصِيدُ الْخَرَابُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَقَالَ مُجَاهِدٌ: قَائِمٌ أَوْ قَائِمٌ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا، وَحَصِيدٌ مُسْتَأْصَلٌ، يَعْنِي مَحْضُودًا كَالزَّرْعِ إِذَا حُصِدَ؛ قَالَ الشَّاعِرُ".

يعني خاويًا على عروشه يعني "ساقطة"، وحصيد: لا أثر لها، تمرن بالبراري والقفار وكأنها ما سكنت قبل ذلك، فهذه حصيد مستأصلة لا أثر للعمارة فيها، وبعض البقاع العمارة لها أثر، وإن كانت ليست قائمة.

"قَالَ الشَّاعِرُ:

وَالنَّاسُ فِي قَسَمِ الْمَنِيَّةِ بَيْنَهُمْ كَالزَّرْعِ مِنْهُ قَائِمٌ وَحَصِيدٌ

وَقَالَ آخَرُ:

إِنَّمَا نَحْنُ مِثْلُ خَامَةِ زَرْعٍ فَمَتَى يَا نِ يَأْتِ مُحْتَصِدُهُ

معروف خامة الزرع، وقد مثل بها المؤمن بالحديث، المؤمن لكثرة ما ينتابه من المصائب والأمراض مثل خامة الزرع تكفكه الرياح في يوم مريض، ويوم مصاب، ويوم سليم، وهكذا، والحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالى- شرح هذا الحديث في رسالة مفردة في شرح طيب -رحمه الله- كعادته.

"قَالَ الْأَخْفَشُ سَعِيدٌ: حَصِيدٌ أَي مَحْضُودٌ"

يحتاج أن يقول: سعيد؟ الأخفش إذا أطلق فالمراد به سعيد، سعيد بن مسعدة المجاشعي الأوسط، وإن كان الأخفش (ثلاثة عشر) أو أكثر من ذلك على ما قاله بعضهم، لكن هو إذا أطلق فالمراد به الأوسط.

"وَجَمَعَهُ حَصْدَى وَحِصَادٌ مِثْلُ مَرَضَى وَمِرَاضٍ؛ قَالَ: يَكُونُ فِيمَنْ يَعْقِلُ حَصْدَى، مِثْلُ قَتِيلٍ وَقَتْلَى.

{وَمَا ظَلَمْنَا هُمْ} [هود: ١٠١] أَصْلُ الظُّلْمِ فِي اللُّغَةِ وَضَعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي "الْبَقْرَةِ" مُسْنَوْفَى".

الله سبحانه وتعالى لا يظلم، **{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ}** [فصلت: ٤٦] «يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي»، فالظلم لا يقع منه سبحانه وتعالى، وإن كان مقدورًا له، فما يفعله في عبده من خيرٍ أو شرٍ ليس بظلم؛ لأن حقيقة الظلم التصرف في ملك الغير، وجميع الأشياء ملك لله سبحانه وتعالى يتصرف فيها حيث يشاء، ومع ذلكم هو لا يظلم، لا يؤاخذ أحدًا بجريرة غيره. ومنهم من يقول:



إن الظلم حرم عليه؛ لامتناعه، إذ ليس بمقدور له، وهذا كلام إذا كان الشيء غير مقدور فلا مدح فيه، فلا يمدح الله سبحانه وتعالى بعدم الظلم؛ لأنه لا يستطيعه، **{تعالى الله عما يُقُولُونَ غُلُوًّا كَبِيرًا}** [الإسراء: ٤٣]، هو يستطيع، لكن حرم الظلم على نفسه، وأوجب العدل تكريمًا منه، ولا يجب عليه شيء كما تقوله المعتزلة: بل يجب عليه فعل الأصلاح، لا، لا يجب على الله سبحانه وتعالى إلا ما أوجبه على نفسه، ولا يحرم عليه شيء إلا ما حرمه على نفسه.

"وَلَوْ كُنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ" [هود: ١٠١] بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي. وَحَكَى سَيِّبُونِهِ أَنَّهُ يُقَالُ: ظَلَمَ إِيَّاهُ {فَمَا أَغْنَتْ} [هود: ١٠١] أَي دَفَعَتْ.

{عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} [هود: ١٠١] فِي الْكَلَامِ حَذَفُ، أَي الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ، أَي يَدْعُونَ.

{لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ} [هود: ١٠١] أَي غَيْرَ تَخْسِيرٍ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ. وَقَالَ لَبِيدٌ:

فَلَقَدْ بَلَيْتُ وَكُلُّ صَاحِبِ جِدَّةٍ
لِبَلَى يَغُودُ وَدَاكُمُ التَّتِيبُ"

كل جديد سوف يعود خلقًا إلا الليل والنهار، ولذا يقال لهمًا: "الجديدان" من وجود هذه الدنيا والليل والنهار موجودان، لكن الليل هو الليل بظلامه، والنهار هو النهار بضيائه هما الجديدان، وما عداهما يبلى ويخلق، والله المستعان.

"والتَّبَابُ الْهَلَاكُ وَالْخُسْرَانُ؛ وَفِيهِ إِضْمَارٌ؛ أَي مَا زَادَتْهُمْ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، فَحَذَفَ الْمُضَافُ؛ أَي كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهَا قَدْ خَسَرْتُهُمْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى} [هود: ١٠٢] أَي كَمَا أَخَذَ هَذِهِ الْقُرَى الَّتِي كَانَتْ لِنُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ يَأْخُذُ جَمِيعَ الْقُرَى الظَّالِمَةِ. وَقَرَأَ عَاصِمٌ الْجَحْدَرِيُّ وَطَلْحَةُ بْنُ مُصْرَفٍ "وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذْ أَخَذَ الْقُرَى" وَعَنِ الْجَحْدَرِيِّ أَيْضًا: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ} [هود: ١٠٢] كَالْجَمَاعَةِ، إِذْ أَخَذَ الْقُرَى". قَالَ الْمَهْدَوِيُّ: مَنْ قَرَأَ: "وَكَذَلِكَ".

{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ} إذا أخذ ربك يعني فيما مضى؛ لأن "إذا" للمستقبل، قراءة الجماعة "إذا أخذ"، {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى}، وهذه القراءة من عاصم وطلحة بن مصرف "كذلك أخذ ربك" التي سبق الحديث عنها، إذ أخذ القرى فيما مضى، الجحدري يقرأ {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ} [هود: ١٠٢] مثل قراءة الجماعة، إذ أخذ، هذا الفرق بين قراءته، وبين قراءة الجماعة بدلاً من "إذا" أي "إذ"؛ لأن الفرق بين "إذا" و "إذ"، أن "إذا" للمستقبل، و "إذ" للماضي. والأخذ بالنسبة لما ذكر في هذه الصورة لا شك أنه في الماضي، فالمناسب "إذ"، لكن ما الذي يمنع أن تستعمل إذا لاسيما إذا أُريد بذلك التخويف؟ وهو أن الله سبحانه وتعالى كما أخذ الأمم السابقة المتقدمة فيما مضى

هو قادرٌ سبحانه وتعالى على أن يأخذ القرى وأهلها اللاحقن إذا أخذهم في المستقبل، الحديث عن الأمم السابقة، ولا فائدة للحديث عن الأمم السابقة إلا ليعتبر اللاحقون، "مضى القوم ولم يرد به سوانا" وفي آخر سورة يوسف: **{مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ...}** [يوسف: ١١١].

طالب:

نعم.

طالب:

المقصود به: الإفادة والاستفادة، يستفيد الإنسان ويعتبر، ويذكر، ويتعظ من أحوال الماضين، فقراءة الجماعة في "إذا" وهي للاستقبال يُستفاد منها التهديد لمن يسلك مسالك المتقدمين يكذب الرسل أن مصيره مصيرهم، وأنه سوف يؤخذ في المستقبل.

"قال المهدوي: من قرأ {وكذلك أخذ ربك إذ أخذ} فهو إخبارٌ عما جاء به العادة في إهلاك من تقدم من الأمم، والمعنى: وكذلك أخذ ربك من أخذ من الأمم المهلكة إذ أخذهم. وقراءة الجماعة على أنه مصدرٌ، والمعنى: كذلك أخذ ربك من أراد إهلاكه متى أخذ، فإذا لما مضى، أي حين أخذ القرى، وإذا للمستقبل، **{وهي ظالمة}** [هود: ١٠٢] أي وأهلها ظالمون، فحذف المضاف مثل: وأسأل القرية".

{وهي ظالمة} [هود: ١٠٢] القرية تظلم؟ "القرى" جمع قرية، المراد ظلم أهلها، لكن ما المانع أن تطلق القرية على من فيها من الجمادات، والحيوانات، والناس أيضًا؟ وهنا يستقيم الكلام، أخذ القرية بما فيها من عاقل وغيره، مثل وأسأل القرية، أسأل القرية. المراد بـ"القرية": جميع من فيها، فما كان من عاقل فسوف يخبرك وينبئك بمقاله، وما كان من غير عاقل فسوف يرد عليك بلسان حاله، كما خاطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه - أهل القبور، وأخبرهم بما حصل بعدهم في أهلهم، وأن أموالهم قسمت، وأن زوجاتهم تزوجت، وما أشبه ذلك، قال: هذا ما عندنا فما عندكم؟ يسألهم، والجواب يكون ويقع في مثل هذه الحالة، وإن لم يكن بلسان المقال، فإنه أجيب رضي الله عنه -، وذكر الجواب لمن حوله بلسان الحال.

{إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٢] أي عُقُوبَتُهُ لِأَهْلِ الشَّرْكِ مُوجِعَةٌ عَظِيمَةٌ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: **{إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ}**، ثُمَّ قَرَأَ: **{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى}** [هود: ١٠٢] الآية. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ".

نعم وهو في مسلم.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً}** [هود: ١٠٣] أَي لَعِبْرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ، **{لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ}** [هود: ١٠٣] ابْتِدَاءً وَخَبْرًا.



"مَجْمُوعٌ مِنْ نَعْتِهِ".

من نعته، من نعته اليوم.

"لَهُ النَّاسُ" اسْمٌ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ".

نعت حقيقي أم سببي؟

طالب: سببي.

نعم، اليوم مجموع، أم المجموع الناس؟

طالب: الناس.

إذا النعت ليس بإيش؟

طالب: حقيقي.

حقيقي، وإنما هو نعت سببي، وتقول: جاء زيدُ القائم أبوه، زيد قائم؟ ما قام، لكن لو قلت: جاء

زيدُ القائم خلاص النعت له، لكن لما تقول: جاء زيدُ القائم أبوه صار نعتاً سببياً.

"لَهُ النَّاسُ" اسْمٌ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَلِهَذَا لَمْ يَقُلْ مَجْمُوعُونَ، فَإِنْ قَدَّرْتَ اِرْتِفَاعَ النَّاسِ بِالْإِبْتِدَاءِ،
وَالْخَبَرَ".

اسمٌ لما لم يُسم فاعله، أين العامل في "الناس"؟

طالب: مجهول.

نعم.

طالب: مجهول.

اسم المفعول، واسم الفاعل أيضاً، والمصدر يعمل عمل؟

طالب: فعله.

فعله، اسم الفاعل يعمل عمل الفعل المبني للمعلوم، واسم المفعول يعمل عمل الفعل المبني للمجهول.

"فَإِنْ قَدَّرْتَ اِرْتِفَاعَ النَّاسِ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَالْخَبَرَ {مَجْمُوعٌ لَهُ} [هود: ١٠٣] فَإِنَّمَا لَمْ يَقُلْ:
مَجْمُوعُونَ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ؛ لِأَنَّ لَهُ" يَقُومُ مَقَامَ الْفَاعِلِ".

يعني الجار والمجرور متعلق بمحذوف نائب فاعل، لاسم المفعول، ويبقى الناس لا عامل فيه إلا
الابتداء.

"وَالْجَمْعُ الْحَشْرُ، أَي يُحْشَرُونَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ {وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} [هود: ١٠٣] أَي يَشْهَدُهُ الْبَرُّ
وَالْفَاجِرُ، وَيَشْهَدُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَيْنِ الْإِسْمَيْنِ مَعَ غَيْرِهِمَا مِنْ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ فِي
كِتَابِ التَّذَكُّرَةِ، وَبَيَّنَّاهُمَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ".

التذكرة في أحوال الآخرة موضوع متداول للقرطبي.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: **{وَمَا نُؤَخِّرُهُ}** [هود: ١٠٤] أَي مَا نُؤَخِّرُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، **{إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ}** [هود: ١٠٤] أَي لِأَجَلٍ سَبَقَ بِهِ قَضَاؤُنَا، وَهُوَ مَعْدُودٌ عِنْدَنَا".

نعم محسوب لا يتقدم، ولا يتأخر، أجله محدد.

"يَوْمَ يَأْتِي وَفَرِيًّا **{يَوْمَ يَأْتِ}** [هود: ١٠٥]؛ لِأَنَّ الْيَاءَ تُحذف إِذَا كَانَ قَبْلَهَا كَسْرَةً؛ تَقُولُ: لَا أَدْرُ، ذَكَرَهُ الْفُشَيْرِيُّ.

قَالَ النَّحَّاسُ: قَرَأَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكَسَائِيُّ بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ فِي الْإِدْرَاجِ، وَحَدَفَهَا فِي الْوَقْفِ، وَرَوَى أَنَّ أَبِيًّا وَابْنَ مَسْعُودٍ قَرَأَ "يَوْمَ يَأْتِي" بِالْيَاءِ فِي الْوَقْفِ وَالْوَصْلِ. وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ وَحَمْزَةً "يَوْمَ يَأْتِ" بِغَيْرِ يَاءٍ فِي الْوَقْفِ وَالْوَصْلِ، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ: الْوَجْهُ فِي هَذَا أَلَّا يُوقَفَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُوصَلَ بِالْيَاءِ؛ لِأَنَّ جَمَاعَةً مِنَ النَّحْوِيِّينَ قَالُوا: لَا تُحذفُ الْيَاءُ، وَلَا يُجْزَمُ الشَّيْءُ بِغَيْرِ جَازِمٍ، فَأَمَّا الْوَقْفُ بِغَيْرِ يَاءٍ فَفِيهِ قَوْلٌ لِلْكَسَائِيِّ، قَالَ: لِأَنَّ الْفِعْلَ السَّالِمَ يُوقَفُ عَلَيْهِ كَالْمَجْزُومِ، فَحَدَفَ الْيَاءَ، كَمَا تُحذفُ الضَّمَّةُ. وَأَمَّا قِرَاءَةُ حَمْزَةً فَقَدْ احْتَجَّ أَبُو عُبَيْدٍ لِحَدَفِ الْيَاءِ فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ بِحُجَّتَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: أَنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ رَأَى فِي الْإِمَامِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ إِنَّهُ مُصَحَّفُ عُثْمَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بِغَيْرِ يَاءٍ.

وَالْحُجَّةُ الْأُخْرَى: أَنَّهُ حَكَى أَنَّهَا لُغَةٌ هُدَيْلٍ، تَقُولُ: مَا أَدْرُ، قَالَ النَّحَّاسُ: أَمَّا حُجَّتُهُ بِمُصَحَّفِ عُثْمَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فَشَيْءٌ يَرُدُّهُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ؛ قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: سَأَلْتُ عَنْ مُصَحَّفِ عُثْمَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فَقِيلَ لِي: ذَهَبَ، وَأَمَّا حُجَّتُهُ بِقَوْلِهِمْ: "مَا أَدْرُ" فَلَا حُجَّةَ فِيهِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْحَدَفَ قَدْ حَكَاهُ النَّحْوِيُّونَ الْقَدَمَاءُ، وَذَكَرُوا عِلَّتَهُ، وَأَنَّهُ لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ. وَأُنشِدَ الْقُرَّاءَ فِي حَدَفِ الْيَاءِ.

كَمَاكَ كَفَّ مَا تَلِيَقُ دِرْهَمًا جُودًا وَأُخْرَى تُعْطِ بِالسَّيْفِ الدِّمَا

أَي تُعْطِي.

وَقَدْ حَكَى سِيبَوَيْهِ وَالْخَلِيلُ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ:

لكن هذا يقال: إن حذف الياء هنا للضرورة، ضرورة الشعر، لكن في النثر ما الداعي لها؟ الجزم بغير جازم.

"وَقَدْ حَكَى سِيبَوَيْهِ وَالْخَلِيلُ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: لَا أَدْرُ، فَتُحذفُ الْيَاءَ وَتَجْزَى بِالْكَسْرَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ لِكثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ. قَالَ الرَّجَّاجُ: وَالْأَجُودُ فِي النَّحْوِ إِثْبَاتُ الْيَاءِ، قَالَ: وَالَّذِي أَرَاهُ اتِّبَاعَ الْمُصَحِّفِ وَإِجْمَاعِ الْقُرَّاءِ؛ لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ سُنَّةٌ، وَقَدْ جَاءَ مِثْلُهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ.

{لَا تَكَلِّمْ نَفْسًا إِلَّا بِإِذْنِهِ} [هود: ١٠٥] الْأَصْلُ تَنْكَلِمٌ، حُذِفَتْ إِحْدَى التَّاءَيْنِ تَخْفِيفًا. وَفِيهِ إِضْمَارٌ، أَي لَا تَنْكَلِمُ.."



لا، وفيه، تركت سطرًا؟

طالب:

سطر.

طالب: نعم.

وفيه.

"فِيهِ نَفْسٌ إِلَّا بِالْمَأْدُونِ فِيهِ مِنْ حُسْنِ الْكَلَامِ؛ لِأَنَّهُمْ مُلْجُونَ" ..
مُلْجُونَ

"لِأَنَّهُمْ مُلْجُونَ لِي تَرَكَ الْقَبِيحِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى لَا تَكَلِّمْ بِحُجَّةٍ وَلَا شَفَاعَةَ إِلَّا بِإِذْنِهِ.
"وَقِيلَ: الْمَعْنَى لَا تَكَلِّمْ بِحُجَّةٍ وَلَا شَفَاعَةَ إِلَّا بِإِذْنِهِ. وَقِيلَ: إِنَّ لَهُمْ فِي الْمَوْقِفِ وَقْتًا يُمْنَعُونَ فِيهِ
مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا بِإِذْنِهِ. وَهَذِهِ الْآيَةُ أَكْثَرُ مَا يُسْأَلُ عَنْهَا أَهْلُ الْإِحَادِ فِي الدِّينِ فَيَقُولُ: لِمَ قَالَ."
يَسْأَلُ.

"وَهَذِهِ الْآيَةُ أَكْثَرُ مَا يُسْأَلُ عَنْهَا أَهْلُ الْإِحَادِ فِي الدِّينِ فَيَقُولُ: لِمَ قَالَ: {لَا تَكَلِّمْ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [هود: ١٠٥] و{هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} [المرسلات: ٣٥-٣٦]. وَقَالَ فِي
مَوْضِعٍ مِنْ ذِكْرِ الْقِيَامَةِ: {وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} [الصفات: ٢٧]. وَقَالَ: {يَوْمٌ
تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا} [النحل: ١١١]. وَقَالَ: {وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} [الصفات:
٢٤]. وَقَالَ: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن: ٣٩]؟

وَالْجَوَابُ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَأَنَّهُمْ لَا يَنْطِقُونَ بِحُجَّةٍ تَجِبُ لَهُمْ وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُونَ بِالْإِقْرَارِ بِذُنُوبِهِمْ، وَلَوْمْ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَطَرِحَ بَعْضُهُمُ الذُّنُوبَ عَلَى بَعْضٍ؛ فَأَمَّا التَّكَلُّمُ وَالنُّطْقُ بِحُجَّةٍ لَهُمْ فَلَا، وَهَذَا كَمَا
تَقُولُ لِلَّذِي يُخَاطَبُ كَثِيرًا، وَخِطَابُهُ فَارِعٌ عَنِ الْحُجَّةِ: مَا تَكَلَّمْتَ بِشَيْءٍ، وَمَا نَطَقْتَ بِشَيْءٍ،
فَسَمِيَّ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِلَا حُجَّةٍ فِيهِ لَهُ غَيْرَ مُتَكَلِّمٍ. وَقَالَ قَوْمٌ: ذَلِكَ الْيَوْمُ طَوِيلٌ، وَلَهُ مَوَاطِنٌ وَمَوَاقِفٌ
فِي بَعْضِهَا".

نعم هذا جواب ابن عباس، مواطن ومواقف، لا يتكلمون في بعض الموقف، ويتكلمون في مواطن
أخرى.

"يُمْنَعُونَ مِنَ الْكَلَامِ، وَفِي بَعْضِهَا يُطَلَّقُ لَهُمُ الْكَلَامُ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا تَتَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ.
{فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} [هود: ١٠٥] أَي مِنَ الْأَنْفُسِ، أَوْ مِنَ النَّاسِ، وَقَدْ ذَكَرَهُمْ فِي قَوْلِهِ: {يَوْمٌ
مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ} [هود: ١٠٣]. وَالشَّقِيُّ الَّذِي كُتِبَتْ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةُ. وَالسَّعِيدُ الَّذِي كُتِبَتْ عَلَيْهِ
السَّعَادَةُ؛ قَالَ لَبِيدٌ:

فَمِنْهُمْ سَعِيدٌ آخِذٌ بِنَصِيْبِهِ وَمِنْهُمْ شَقِيٌّ بِالْمَعِيشَةِ قَانِعٌ

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ **﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾** [هود: ١٠٥] سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَعَلَامَ نَعْمَلُ؟ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فُرِعَ مِنْهُ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يُفْرَغَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: **«بَلْ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فُرِعَ مِنْهُ وَجَرَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ يَا عُمَرُ، وَلَكِنْ كُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»**. قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي "الْأَعْرَافِ".

الحديث ثابت، الصحابة استشكلوا، كل شيء مقدر ومكتوب، والملك يؤمر بكتب أربع عند نفخ الروح، ومنها الكتابة بأنه شقي أو سعيد، قالوا: الآن العمل في شيء قد فرغ منه؟ قال: نعم شيء قد فرغ منه، طيب، لماذا نعمل ما دام انتهى؟ نعم، انتهى، يعني لو قدر أن النتائج ترصد قبل الامتحانات، فلماذا يختبر الناس؟ الامتحان ما له فائدة، فهم ظنوا الأمر كذلك، وهنا من كتبت عليه السعادة فسوف ييسر لأمر أهل السعادة **«اعملوا فكلٌ ميسر لما خلق له»**، ومن كتبت عليه الشقاوة فسوف يسهل وييسر عليه عمله أهل الشقاء، ولا يقال: إنه مجبور على عمله سواء كان سعادة أو شقاء.

لا، له إرادة، وله مشيئة تابعة لإرادة الله ومشيئته، **﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾** [الليل: ٥-٦] هذا يقدم ما عنده، والنتيجة **﴿فَسَنِّيئِرُهُ لِلْيُسْرَى﴾** [الليل: ٧] يعني قادر على أن يعطي، ويتقي، ويصدق، كما أنه لديه قدرة، وإمكانية أن يكذب ويبخل، فالله جعل له شيئاً من الحرية لكن ليست حرية مطلقة، وليست إرادة تامة، وإنما هي حرية مقيدة، وإرادة ومشيئة تابعة لمشيئة الله سبحانه وتعالى وإرادته.

ولا شك أن هذا المواطن من مضايق الأنظار، ضاقت به أنظار الكبار من أهل العلم، لكن على الإنسان أن يؤمن، ويصدق، ويعمل، ولا يضمن النتائج، يعمل ولا يضمن النتيجة، **﴿وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها﴾**، مع كونه عاملاً لا يضمن، بل لا بد أن يكون خائفاً حتى آخر لحظة، ما يدري بأي شيء يُختم له، الأعمال بالخواتيم، وأشد ما يخافه السلف الذين جمعوا مع حسن العمل الخوف أكثر ما يخافون من سوء العاقبة، وكم من شخص فتن عند موته، فهؤلاء جمعوا بين الحسن، حسن العمل، مع الخوف من الله سبحانه وتعالى، بينما غيرهم يجمع بين الإساءة، والأمن، الأمن من مكر الله، والله المستعان.

طالب: في كلام السلف كثيراً الخوف عند الموت، متى تكون الثقة بالله -عز وجل-؟

نعم، عند الاحتضار، عند الاحتضار إذا وثق، وأحب لقاء الله أحب لقاءه، من أجل هذا، يعني أقول: إنه إذا احتضر يحسن الظن بالله سبحانه وتعالى، ولذا كثيرٌ منهم يذكر بأنه عامل،



وعامل في آخر لحظة من حياته؛ من أجل أن يحسنُ الظن بربهم، ومنهم من يذكر لغيره، يذكر لأولاده وليس هذا من باب الاغترار، ولكن من أجل أن يموت وهو يحسن الظن بالله سبحانه وتعالى، وأما طيلت الحياة فلا بد من الخوف، فلا بد من الخوف مع الرجاء لما عند الله سبحانه وتعالى.

طالب: يا شيخ

نعم

طالب:

في حال الحياة يقول جمع من العلم في حال السعة الصحة يغلب جانب الخوف؛ لأنه يحثه على العمل.

طالب:

نعم.

طالب:

لا، هم ما يغلبون الخوف، لا، لما قال له الشيطان: "فتني يا أحمد" قال: بعضه صحيح، ما دامت الروح ما بعد طلعت، فهي محل فتنة.

طالب:

على كل حال في حال الاحتضار ينبغي أن يحسن الظن بربه، يحسن الظن بربه، ويتذكر ما فعله في حال الحياة من أجل أن تطلع روحه وهو محسن الظن بربه.

طالب:

لأنه في هذا الوقت ليس بوقت عمل، ما فيه إلا النطق بالشهادة، ما فيه عمل ينفعه الخوف من أجله؛ لأن الخوف فائدته الحث على العمل، لكن ما بقي عمل، ولذا في الدعاء للميت ماذا يقال؟ "اللهم من أحبيته منا فأحبه على الإسلام" لأن فيه العمل "ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان" الذي هو مجرد تصديق، وإذعان، وإقرار من دون عمل.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: **{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا}** [هود: ١٠٦] **{فَفِي النَّارِ}** [هود: ١٠٦] فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ، وَكَذَا **{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ}** [هود: ١٠٦] قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: الزَّفِيرُ مِنَ الصَّدْرِ. وَالشَّهِيقُ مِنَ الْحَلْقِ، وَعَنْهُ أَيْضًا ضِدُّ ذَلِكَ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الزَّفِيرُ مِنْ شِدَّةِ الْأَيْنِ، وَالشَّهِيقُ مِنَ الْأَيْنِ الْمُرْتَفِعِ جِدًّا. قَالَ: وَرَعِمَ أَهْلُ اللُّغَةِ مِنَ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ أَنَّ الزَّفِيرَ بِمَنْزِلَةِ ابْتِدَاءِ صَوْتِ الْحَمِيرِ فِي النَّهْيِ، وَالشَّهِيقُ بِمَنْزِلَةِ آخِرِ صَوْتِ الْحَمَارِ فِي النَّهْيِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَكْسَهُ، قَالَ: الزَّفِيرُ الصَّوْتُ الشَّدِيدُ، وَالشَّهِيقُ الصَّوْتُ الضَّعِيفُ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَمَقَاتِلُ: الزَّفِيرُ مِثْلُ أَوَّلِ نَهْيِ الْحَمَارِ، وَالشَّهِيقُ مِثْلُ آخِرِهِ حِينَ فَرَّغَ مِنْ صَوْتِهِ؛ قَالَ الشَّاعِرُ:

حَسْرَجٍ فِي الْجَوْفِ سَحِيلًا أَوْ شَهَقٍ حَتَّى يُقَالَ نَاهِقٌ وَمَا نَهَقَ وَقِيلَ: الرَّفِيرُ إِخْرَاجُ النَّفْسِ، وَهُوَ أَنْ يَمْتَلِي الْجَوْفُ غَمًّا فَيُخْرَجُ بِالنَّفْسِ، وَالشَّهِيقُ رَدُّ النَّفْسِ. وَقِيلَ: الرَّفِيرُ تَرْدِيدُ النَّفْسِ مِنْ شِدَّةِ الْحُزَنِ، مَأْخُودٌ مِنَ الرَّفْرِ وَهُوَ الْحَمْلُ عَلَى الظَّهِرِ لِشِدَّتِهِ، وَالشَّهِيقُ النَّفْسُ الطَّوِيلُ الْمُمتدُّ، مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: جَبَلٌ شَاهِقٌ؛ أَي طَوِيلٌ. وَالرَّفِيرُ وَالشَّهِيقُ مِنْ أَصْوَاتِ الْمُحْزُونِينَ.

لما ذكر في آخر الآيات السابقة أن العباد منهم شقي وسعيد، وهذا على سبيل الإجمال، على سبيل اللف، ثم جاء البسط، والنشر فيما يتلو فقال: **{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ}** [هود: ١٠٦] وهذا مرتب؛ لأنه بدأ بالإجمال باللف بالأشقياء، وبدأ بهم في النشر الذي هو البسط والتفصيل **{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ}** [هود: ١٠٦] ثم تثنى بالسعداء، وبعد ذلك قال: **{وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا}** [هود: ١٠٨]، وهذا يسمونه لفاً ونشراً مرتباً.

وأما ما تقدم في آل عمران **{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ}** [آل عمران: ١٠٦] بدأ بمن ابيضت وجوههم قال: **{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ}** [آل عمران: ١٠٦] ثم تثنى بالمسود، ثم بدأ في التفصيل بالثاني دون الأول، فهناك اللف والنشر المرتب كما هنا، وفي آل عمران اللف والنشر غير المرتب الذي يسمى بكتب البلاغة اللف والنشر المشوش ما هو مرتب، وكلاهما فصيح سوءً كان مرتباً أو غير مرتب، كلاهما فصيح، وجاء في صحيح الكلام، كما سمعتم.

طالب:

ماذا؟

طالب:

هو كأنها من كتب الأدب، هم يطلقون.

طالب: لما كان اللف فيه انتقاص للكلام وو.

لا هو إذا عرفنا أنه سواء كان مرتباً أو غير مرتب كلاهما فصيح، جاء في أفصح الكلام، نعم.

طالب:

ما فيه إشكال.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: **{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ}** [هود: ١٠٧] مَا دَامَتْ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٌ عَلَى الظَّرْفِ، أَي دَوَامَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالتَّقْدِيرُ: وَقْتُ ذَلِكَ. وَاخْتُلِفَ فِي تَأْوِيلِ هَذَا؛ فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ الضَّحَّاكُ: الْمَعْنَى مَا دَامَتْ سَمَاوَاتُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَأَرْضُهُمَا، وَالسَّمَاءُ كُلُّ مَا عَلَاكَ فَأَطَّلَكَ، وَالْأَرْضُ مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ قَدَمُكَ، وَفِي التَّنْزِيلِ: **{وَأُورِثْنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ}** [الزمر: ٧٤].

وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ الْمَعْهُودَتَيْنِ فِي الدُّنْيَا وَأَجْرَى ذَلِكَ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي الْإِخْبَارِ عَنْ دَوَامِ الشَّيْءِ وَتَأْيِيدِهِ، كَقَوْلِهِمْ: لَا آتِيكَ مَا جَنَّ لَيْلٌ، أَوْ سَالَ سَيْلٌ، وَمَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَمَا نَاحَ الْحَمَامُ، وَمَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ".

يعني ما هو بجاءٍ أبداً، تبييس، هذا تبييس.

"وَنَحْوُ هَذَا مِمَّا يُرِيدُونَ بِهِ طَوَّالًا مِنْ غَيْرِ نِهَائِيَّةٍ، فَأَفْهَمَهُمُ اللَّهُ تَخْلِيدَ الْكُفْرَةِ بِذَلِكَ. وَإِنْ كَانَ قَدْ أَخْبَرَ بِزَوَالِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ أَصْلُهَا مِنْ نُورِ الْعَرْشِ، وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي الْآخِرَةِ تُرَدَّانِ إِلَى النُّورِ الَّذِي أُخِذَتْ مِنْهُ؛ فَهَمَّا دَائِمَتَانِ أَبَدًا فِي نُورِ الْعَرْشِ".

قَوْلُهُ تَعَالَى: **{إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ}** [هود: ١٠٧]؛ لِأَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ لَيْسَ مِنَ الْأَوَّلِ؛ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ".

ليس من الأول يعني استثناءً منقطعاً، و"إلا" هنا تكون بمعنى "لكن".

"وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ عَلَى أَقْوَالٍ عَشْرَةٍ: الْأُولَى: أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ قَوْلِهِ: **{فِي النَّارِ}** [هود: ١٠٦] كَأَنَّهُ قَالَ: **{إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ}** [هود: ١٠٧] مِنْ تَأْخِيرِ قَوْمٍ عَنْ ذَلِكَ".

الأولى أم الأول؟

طالب: عشرة..

هو عشرة.

طالب: عشر من..

من المذكر نعم.

طالب: الأول أو.

الأول بلا شك؛ لأن الذي يليه الثاني.

"الأولى: أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ".

يعني الأول من هذه الأقوال.

"الأول: أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ قَوْلِهِ: **{فِي النَّارِ}** [هود: ١٠٦] كَأَنَّهُ قَالَ: **{إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ}** [هود:

١٠٧] مِنْ تَأْخِيرِ قَوْمٍ عَنْ ذَلِكَ، وَهَذَا قَوْلُ رَوَاهُ أَبُو نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَجَابِرِ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمَا-. وَإِنَّمَا لَمْ يَقُلْ مَنْ شَاءَ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ الْعَدَدُ لَا الْأَشْخَاصُ، كَقَوْلِهِ: **{مَا طَابَ لَكُمْ}**

[النساء: ٣]. وَعَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **{إِلَّا مَنْ شَاءَ أَلَّا يُدْخِلَهُمْ}**

وَإِنْ شَقُوا بِالْمَعْصِيَةِ».

شَقُوا.

«إِلَّا مَنْ شَاءَ أَلَّا يُدْخِلَهُمْ وَإِنْ شَقُوا بِالْمَعْصِيَةِ».

الثَّانِي: أَنَّ الْإِسْتِثْنََاءَ إِنَّمَا هُوَ لِلْعَصَاةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِخْرَاجِهِمْ بَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ النَّارِ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ: **{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا}** [هود: ١٠٦].
شَقُّوا شَقُّوا.

{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا} [هود: ١٠٦] عَامًّا فِي الْكُفْرَةِ وَالْعَصَاةِ، وَيَكُونُ الْإِسْتِثْنََاءُ مِنْ "خَالِدِينَ"، قَالَهُ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَأَبُو سِنَانٍ وَغَيْرُهُمْ. وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَدْخُلُ نَاسٌ جَهَنَّمَ حَتَّى إِذَا صَارُوا كَالْحُمَمَةِ أُخْرِجُوا مِنْهَا وَدَخَلُوا الْجَنَّةَ فَيَقَالُ: هَؤُلَاءِ الْجَهَنَّمِيُّونَ»، وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى فِي "النِّسَاءِ"، وَغَيْرِهَا. الثَّلَاثُ: أَنَّ الْإِسْتِثْنََاءَ مِنَ الزَّفِيرِ وَالشَّهِيْقِ، أَي لِهَمِّ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ الَّذِي لَمْ يَذْكُرْهُ، وَكَذَلِكَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ النَّعِيمِ مَا ذَكَرَ، وَمَا لَمْ يَذْكُرْ. حَكَاهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ.
الرَّابِعُ: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: **{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ}** [هود: ١٠٧] لَا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا، **{إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ}** [هود: ١٠٧]، وَهُوَ أَنْ يَأْمُرَ النَّارَ فَتَأْكُلُهُمْ وَتُفْنِيَهُمْ، ثُمَّ يُجَدِّدُ خَلْقَهُمْ.

قُلْتُ: وَهَذَا الْقَوْلُ خَاصٌّ بِالْكَافِرِ وَالْإِسْتِثْنََاءُ لَهُ فِي الْأَكْلِ، وَتَجْدِيدِ الْخَلْقِ.
الخَامِسُ: أَنَّ إِلَّا بِمَعْنَى "سِوَى" كَمَا تَقُولُ فِي الْكَلَامِ".

ما الداعي إلى هذه الأقوال العشرة؟

ما الذي دعاه إلى أن يذكر هذه العشرة الأقوال؟

الطالب: الاستثناء.

نعم؛ لأنه يلزم على الاستثناء القول بفناء النار، وأن الكفار لا يخلدون في النار، **{خَالِدِينَ فِيهَا}** [هود: ١٠٧] **{إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ}** [هود: ١٠٧] فيلزم عليه القول بفناء النار، ويأتي أيضًا الاستثناء في الجنة، والقول بفناء الجنة والنار قول الجهنمية، القول بفناء الجنة والنار هو قول الجهنمية، والذي عليه أهل السنة أن الجنة النار دائمة دائمة أبدية، فمن كان في نعيم فهو أبدي، ومن كان في عذاب فهو سمردي. وهذيل العلاف يقول: ما يفنون، باقون، من في النار باقون في النار، ومن في الجنة باقون في الجنة، لكن تفنى حركاتهم، تفنى حركاتهم.

وهذا قول ساقط، والنصوص في الكتاب والسنة متضاربة على أن النعيم باقٍ، نعيم الجنة باقٍ، وأنه لا يفنى أبد الآباد، وكذلك عذاب أهل النار ممن حكم له بالخلود من الكفار من اليهود، والنصارى، والمشركين، وغيرهم.

المقصود أن هذه الأقوال من أجل وجود هذا الاستثناء، يعني هل الاستثناء من خالدين، أو من غيره، أو معنى إلا ليست على بابها من الاستثناء، كما ذكره المؤلف -رحمه الله- في القول الخامس؟

"الخامس: أنَّ إِلَّا بِمَعْنَى "سِوَى" كَمَا تَقُولُ فِي الْكَلَامِ: مَا مَعِيَ رَجُلٌ إِلَّا زَيْدٌ، وَلِي عَلَيْكَ أَلْفَا دِرْهَمٍ إِلَّا الْأَلْفَ الَّتِي لِي عَلَيْكَ. قِيلَ: فَالْمَعْنَى مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ سِوَى مَا شَاءَ رَبُّكَ مِنَ الْخُلُودِ.

السَّادِسُ: أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ الْإِخْرَاجِ، وَهُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْهَا. كَمَا تَقُولُ فِي الْكَلَامِ: أَرَدْتُ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ أَشَاءَ غَيْرَهُ، وَأَنْتَ مُقِيمٌ عَلَى ذَلِكَ الْفِعْلِ، فَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَوْ شَاءَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ لَأَخْرَجَهُمْ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ خَالِدُونَ فِيهَا، ذَكَرَ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ الرَّجَّاحُ عَنْ أَهْلِ اللُّغَةِ، قَالَ: وَلِأَهْلِ الْمَعَانِي قَوْلَانِ آخِرَانِ، فَأَحَدُ الْقَوْلَيْنِ: **{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ}** [هود: ١٠٧] مِنْ مِقْدَارِ مَوْقِفِهِمْ عَلَى رَأْسِ قُبُورِهِمْ، وَلِلْمُحَاسِبَةِ، وَقَدَّرَ مُكْتَنِبُهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَالْبَرْزَخِ، وَالْوُقُوفِ لِلْحِسَابِ. وَالْقَوْلُ الْآخَرُ: وَقُوعُ الْإِسْتِثْنَاءِ فِي الزِّيَادَةِ عَلَى النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ، وَتَقْدِيرُهُ: **{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ}** [هود: ١٠٧] مِنْ زِيَادَةِ النَّعِيمِ لِأَهْلِ النَّعِيمِ، وَزِيَادَةِ الْعَذَابِ لِأَهْلِ الْجَحِيمِ.

قُلْتُ: فَالْإِسْتِثْنَاءُ فِي الزِّيَادَةِ مِنَ الْخُلُودِ عَلَى مَدَّةِ كَوْنِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ الْمَعْهُودَتَيْنِ فِي الدُّنْيَا، وَاخْتَارَهُ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، أَيَّ خَالِدِينَ فِيهَا مِقْدَارَ دَوَامِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَذَلِكَ مَدَّةُ الْعَالَمِ، وَلِلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَقْتُ يَتَغَيَّرَانِ فِيهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: **{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ}** [إبراهيم: ٤٨]، فَخَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْأَدَمِيَّيْنَ وَعَامَلَهُمْ، وَاشْتَرَى مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَعَلَى ذَلِكَ بَايَعَهُمْ يَوْمَ الْمِيثَاقِ، فَمَنْ وَفَّى بِذَلِكَ الْعَهْدِ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ ذَهَبَ بِرَقَبَتِهِ يَخْلُدُ فِي النَّارِ بِمِقْدَارِ دَوَامِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَإِنَّمَا دَامَتَا لِلْمُعَامَلَةِ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فِي الْجَنَّةِ بِمِقْدَارِ ذَلِكَ، فَإِذَا تَمَّتْ هَذِهِ الْمُعَامَلَةُ وَقَعَ الْجَمِيعُ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْبِيدَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ}** [الدخان: ٣٨-٣٩]، فَيَخْلُدُ أَهْلُ الدَّارَيْنِ بِمِقْدَارِ دَوَامِهِمَا، وَهُوَ حَقُّ الرُّبُوبِيَّةِ بِذَلِكَ الْمِقْدَارِ مِنَ الْعِظَمَةِ، ثُمَّ أَوْجَبَ لَهُمُ الْأَبَدَ فِي كِلْتَا الدَّارَيْنِ لِحَقِّ الْأَحْدِيثِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مُوَجِّدًا لِأَحْدِيثِهِ بَقِيَ فِي دَارِهِ أَبَدًا، وَمَنْ لَقِيَهُ مُشْرِكًا بِأَحْدِيثِهِ إِلَهًا بَقِيَ فِي السِّجْنِ أَبَدًا، فَأَعْلَمَ اللَّهُ الْعِبَادَ مِقْدَارَ الْخُلُودِ، ثُمَّ قَالَ: **{إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ}** [هود: ١٠٧] مِنْ زِيَادَةِ الْمُدَّةِ الَّتِي تَعَجَّرُ الْقُلُوبُ عَنْ إِدْرَاقِهَا؛ لِأَنَّهُ لَا غَايَةَ لَهَا، فَبِالْإِعْتِقَادِ دَامَ خُلُودُهُمْ فِي الدَّارَيْنِ أَبَدًا.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ إِلَّا بِمَعْنَى الْوَاوِ، قَالَهُ الْفَرَّاءُ وَبَعْضُ أَهْلِ النَّظَرِ وَهُوَ الثَّامِنُ، وَالْمَعْنَى: وَمَا شَاءَ رَبُّكَ مِنَ الزِّيَادَةِ فِي الْخُلُودِ عَلَى مَدَّةِ دَوَامِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي الدُّنْيَا. وَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **{إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا}** [العنكبوت: ٤٦] أَيَّ وَلَا الَّذِينَ ظَلَمُوا. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَكُلُّ أَحِّ مَفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ

أَيُّ وَالْفَرْقَدَانِ .

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ مَكِّيٌّ: وَهَذَا قَوْلٌ بَعِيدٌ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ أَنْ تَكُونَ إِلَّا بِمَعْنَى الْوَاوِ، وَقَدْ مَضَى فِي الْبَقْرَةِ بَيَانُهُ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ كَمَا شَاءَ رَبُّكَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **لَوْلَا تَنَكُّحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ** {النساء: ٢٢} أَي كَمَا قَدْ سَلَفَ، وَهُوَ: النَّاسِغُ.

الْعَاشِرُ: وَهُوَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: **إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ** {هود: ١٠٧} إِنَّمَا ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الْإِسْتِثْنَاءِ الَّذِي نَدَبَ الشَّرْعُ إِلَى اسْتِعْمَالِهِ فِي كُلِّ كَلَامٍ، فَهُوَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: **لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** {الفتح: ٢٧} فَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ فِي وَاجِبٍ، وَهَذَا الْإِسْتِثْنَاءُ فِي حُكْمِ الشَّرْطِ كَذَلِكَ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ شَاءَ رَبُّكَ، فَلَيْسَ يُوصَفُ بِمُتَّصِلٍ وَلَا مُنْقَطِعٍ، وَيُؤَيِّدُهُ وَيَقْوِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: **عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٍ** {هود: ١٠٨}، وَنَحْوُهُ عَنِ أَبِي عُبَيْدٍ.

يدل على عدم انقطاعه كونه: **غَيْرٌ مَجْدُودٍ** {هود: ١٠٨} دائم، ويكون الاستثناء على القول الأخير قوله: **إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ** {هود: ١٠٨} من باب تعليم العباد أن يستثنوا إذا ذكروا شيئاً من باب التحقيق، والتبرك بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وإن لم يكن من باب التعليق كما هنا. "وَنَحْوُهُ عَنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: تَقَدَّمَتْ عَزِيمَةُ الْمَشِيئَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي خُلُودِ الْفَرِيقَيْنِ فِي الدَّارَيْنِ، فَوَقَعَ لَفْظُ الْإِسْتِثْنَاءِ، وَالْعَزِيمَةُ قَدْ تَقَدَّمَتْ فِي الْخُلُودِ.

قَالَ: وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: **لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** {الفتح: ٢٧} وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَهُ حَتْمًا، فَلَمْ يُوجِبِ الْإِسْتِثْنَاءُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ خِيَارًا؛ إِذِ الْمَشِيئَةُ قَدْ تَقَدَّمَتْ، بِالْعَزِيمَةِ فِي الْخُلُودِ فِي الدَّارَيْنِ وَالِدُخُولِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ؛ وَنَحْوُهُ عَنِ الْفَرَاءِ .

وَقَوْلُ -حَادِي عَشَرَ-: وَهُوَ أَنَّ الْأَشْقِيَاءَ هُمُ السُّعْدَاءُ، وَالسُّعْدَاءُ هُمُ الْأَشْقِيَاءُ لَا غَيْرُهُمْ، وَالْإِسْتِثْنَاءُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ، وَبَيَانُهُ أَنَّ "مَا" بِمَعْنَى "مَنْ"، اسْتَنْتَى اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنْ الدَّاخِلِينَ فِي النَّارِ الْمُخَلَّدِينَ فِيهَا الَّذِينَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَاسْتَنْتَى مِنَ الدَّاخِلِينَ فِي الْجَنَّةِ الْمُخَلَّدِينَ فِيهَا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ بِذُنُوبِهِمْ قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخْرَجُونَ مِنْهَا إِلَى الْجَنَّةِ. وَهُمْ الَّذِينَ وَقَعَ عَلَيْهِمُ الْإِسْتِثْنَاءُ الثَّانِي؛ كَأَنَّهُ قَالَ تَعَالَى: **فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ** {هود: ١٠٦-١٠٧} أَلَّا يُخَلِّدَهُ فِيهَا، وَهُمْ الْخَارِجُونَ مِنْهَا مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِإِيمَانِهِمْ وَبِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَهُمْ بِدُخُولِهِمُ النَّارَ يُسَمَّوْنَ الْأَشْقِيَاءَ، وَبِدُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ السُّعْدَاءَ، كَمَا رَوَى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِذْ قَالَ: الَّذِينَ سَعِدُوا شَقُوا بِدُخُولِ النَّارِ، ثُمَّ سَعِدُوا بِالْخُرُوجِ مِنْهَا وَدُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ".

طالب:

ما معناه؟

"طالب: يقول: إن الاستثناء يبقى على الذين تأخر دخولهم إلى الجنة الذين عوقبوا بذنوب البصيرة، ثم دخول الجنة فلا خلود تام لهم هناك، ولا خلود هنا؟ يعني في الموضوعين المراد بهم واحد.

طالب: الاستثناء واحد.

في الموضوعين، الاستثناء في الموضوعين {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا} [هود: ١٠٦-١٠٧] {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود: ١٠٧] بأن يدخلوا النار ثم يخرجون منها؛ لأنهم ليسوا من أهل الخلود، لكن من أهل المعاصي.

{وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ} [هود: ١٠٨] أيضًا {خَالِدِينَ فِيهَا} [هود: ١٠٧] {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود: ١٠٧] {خَالِدِينَ فِيهَا} [هود: ١٠٧]. من أول الأمر أو من آخره؟ الطالب: من آخره.

نعم، فيكون الاستثناء لما كان قبل دخولهم الجنة، مع أن هذا يبعد، بعيد من السياق. طالب: هذا الذي اختاره التفسير الميسر.

المقصود أنه بعيد عن السياق يكون المراد بالآيتين شيئاً واحداً، يكون قوله: {فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} [هود: ١٠٥] نوعاً واحداً، شقي وسعيد نوعاً واحداً، فتكون الأنواع ثلاثة: مؤمن خالص هذا خالد في الجنة من أول الوقت إلى آخره، وكافر خالص هذا مخلد في النار من أول الوقت إلى آخره، وشخص ثالث شقي وسعيد في آن واحد "شقي" باعتبار الحال، "سعيد" باعتبار المآل، شقي في وقت دخوله النار، وسعيد..

طالب: بعد دخوله الجنة.

بعد دخوله الجنة {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا} [هود: ١٠٦]، {وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا} [هود: ١٠٨] "أما" هذه لإيش؟

طالب: تفصيل.

تفصيل، أما كذا، وأما كذا "تفصيل" تذكر لتذكر أنواع، ولا تذكر لنوع واحد، {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا} [هود: ١٠٦]، {وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا} [هود: ١٠٨] هذا نوع واحد، كلا الاثنين نوع واحد، فهم شقوا باعتبار الحال، وسعدوا باعتبار المآل، فالنهاية سعادتهم إذا أخرجوا من النار وأدخلوا الجنة.

لكن هذا فيه بعد، الآيتان فيها صنفان من الناس، ولا شك أن الاستثناء مشكل، وإذا احتيج لمثل هذا الكلام إضافة على قوله تعالى: {لَا يَبْتَغِي فِيهَا أَحْقَابًا} [النبأ: ٢٣].

طالب:

نعم.

طالب:

"الأحقاب" مئات السنين، الأحقاب مئات السنين، لكن ماذا بعد هذه الأحقاب؟ هل معنى أنه بعد هذه الأحقاب يخرجون؟ لا؛ لأن الله حكم عليهم بالخلود، كلام عمر رضي الله عن - لو لبثوا يعني: أهل النار، بقدر رمل عالج، كثير كثير نفوذاً كبيراً جداً، يعني لو لبثوا من السنين بقدر رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه، هذا يستدل به من يقول بفناء النار وأهل النار، لكن ليس فيه دليل، وتقدم قوله بأنه قد يقال في الكلام على وجه التيسير بما يطول أمده، تقول: ما آتاك ما بقي الليل والنهار. هل معنى هذا أنه لو انتهى الليل والنهار سيأتيه؟

طالب: لا.

لا، ليس مفهومه هذا، أيضاً في قول عمر رضي الله عنه -: بقدر رمل عالج لكان لهم لو كان محدداً بقدر يوم عالج لانتهى رمل عالج وانتهى، لكنهم ما ربطوا برمل عالج، "لو لبثوا مقدار رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه"، لكنهم ما ربطوا، ما قيل: إنكم تمكثون في النار بقدر رمل عالج، وإلا فالرمل مهما كان عدده ينفد، فبقاؤهم ليس مربوطاً بقدر رمل عالج، وإن فهم بعضهم أن هذا القول يدل على فناء النار، ولو كان بعد آما، لكن ليس فيه دليل.

المقصود أن مثل هذه الآية، وآية النبأ، وما يروى عن عمر يستدل بها من يقول "بفناء النار" يستدل بالآية الثانية من يقول بفناء الجنة، وهو قول الجهنمية كما هو معروف، والمعتمد عند أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار باقيتان أبد الآباد مخلوقتان موجودتان في الدنيا، وأيضاً هما مستمرتان إلى ما لا نهاية لتعذيب أهل النار العذاب الأبدي السرمدي، ولنعيم أهل الجنة النعيم الذي لا حد له.

طالب: ابن القيم يا شيخ يرى الفناء؟

لا لا، ما يرى الفناء ولا شيئاً، ما فيه شيء صريح.

طالب:

ما فيه شيء صريح، هو ذكر الأدلة، واستعرض الأقوال من غير ترجيح.

طالب:

لا لا، ما فيه أليق، كيف قال أليق؟

يعني من حيث إن هذا عصى؟

طالب:

هو ذكر الأدلة، أدلة الفريقين، لكن نعلم منهم من يقول: إن شخصاً عصى مئة سنة، كيف يعذب آلاف السنين، يعذب بقدر ما عصى، عاش مئة سنة، يعذب مئة سنة.

طالب:

قد يقول بعضهم هذا وقد قيل، يعني من عدل الله ورحمته أن يعذب الشخص أن يعذب الذي

عصى مئة سنة يعذبه آلاف السنين؟

طالب:

هو بنيته، ومستصحب هذا، مستصحب الكفر، ما في نيته في يوم من الأيام أنه يعصي يعصي عشر سنين عشرين سنة ثم يتوب، لا.

طالب:

ماذا؟

طالب:

ما ينفع، ما ينفع، يعني إذا عاين خلاص ما نفع.

طالب:

لو ردوا لعادوا، لو ردوا لعادوا.

طالب: القول بفناء النار فقط فيه شيء كبير؟

نعم، فيه أشياء، هو قول الجهمية.

طالب: فناء النار.

نعم.

طالب: فيه أدلة.

مثل هذا مثل فناء الجنة على أساس أنه موجود هنا وهناك.

طالب:

لا لا لا..

طالب:

نعم صحيح، نعم صحيح، أبدًا.

طالب: ابن القيم يا شيخ..

ابن القيم ذكر الأقوال واستطرد بذكرها وما رجح فقط.

الطالب:

لا لا، ما رجح، ما رجح، أنت استشففت، أنت اقرأ الأدلة الأخرى، وانظر قوتها.

طالب:

مثل صاحب دار السعادة لما ذكر الخلاف في الجنة التي دخلها آدم هل هي جنة الخلد أم جنة في الدنيا غيرها؟ تقرأ الخلاف ما تطلع بنتيجة؛ لأن الأدلة متكافئة عندهم، لكن ما نقول إنه رجح.

"وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ وَحَفْصُ وَحَمْرَةُ وَالْكَسَائِيُّ {وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا} [هود: ١٠٨] بِضَمِّ السِّينِ. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: وَالِدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ سَعِدُوا أَنَّ الْأَوَّلَ شَقُوا وَلَمْ يَقُلْ: أُشَقُوا".

طالب: أم شقوا.

أين؟

طالب: يقول: شقوا أم يقول أشقوا.

ولم يقل: أشقوا مثل سعدوا.

طالب: يعني هي للبناء للمجهول يقول شقوا بدون همزة.

لا لا لا.

"قَالَ النَّحَّاسُ: وَرَأَيْتَ عَلِيَّ بْنَ سُلَيْمَانَ يَتَعَجَّبُ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِسَائِيِّ: سَعِدُوا مَعَ عِلْمِهِ بِالْعَرَبِيَّةِ! إِذْ كَانَ هَذَا لِحَنَا لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُقَالُ: سَعِدَ فُلَانٌ وَأَسْعَدَهُ اللَّهُ، وَأَسْعَدَ."

وأَسْعَدَ.

"وَأَسْعَدَ مِثْلُ أَمْرَضٍ، وَإِنَّمَا اخْتَجَّ الْكِسَائِيُّ بِقَوْلِهِمْ: مَسْعُودٌ وَلَا حُجَّةَ لَهُ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ: مَكَانٌ مَسْعُودٌ فِيهِ، ثُمَّ يُحْدَفُ فِيهِ وَيُسَمَّى بِهِ. وَقَالَ الْمُهْدَوِيُّ: وَمَنْ ضَمَّ السِّينَ مِنْ سَعِدُوا فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى قَوْلِهِمْ: مَسْعُودٌ، وَهُوَ شَادُّ قَلِيلٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ: سَعِدَهُ اللَّهُ، إِنَّمَا يُقَالُ: أَسْعَدَهُ اللَّهُ."

"وَقَالَ النَّحَّاسِيُّ: سَعِدُوا بِضَمِّ السِّينِ أَيْ زُرُقُوا السَّعَادَةَ، يُقَالُ: سَعِدَ وَأَسْعَدَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: "سَعِدُوا" بِفَتْحِ السِّينِ قِيَاسًا عَلَى شَقُوا، وَاخْتَارَهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَأَبُو حَاتِمٍ. وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَالسَّعَادَةُ خِلَافُ الشَّقَاوَةِ، تَقُولُ: مِنْهُ سَعِدَ الرَّجُلُ بِالْكَسْرِ فَهُوَ سَعِيدٌ، مِثْلُ سَلِمَ فَهُوَ سَلِيمٌ، وَسَعِدَ فَهُوَ مَسْعُودٌ؛ وَلَا يُقَالُ فِيهِ: مُسْعَدٌ، كَأَنَّهُمْ اسْتَعْنَوْا عَنْهُ بِمَسْعُودٍ."

وَقَالَ الْقَشِيرِيُّ أَبُو نَصْرِ عَبْدِ الرَّحِيمِ: وَقَدْ وَرَدَ سَعِدَهُ اللَّهُ فَهُوَ مَسْعُودٌ، وَأَسْعَدَهُ اللَّهُ فَهُوَ مُسْعَدٌ، فَهَذَا يَقْوَى قَوْلَ الْكُوفِيِّينَ وَقَالَ سِيبَوَيْهِ: لَا يُقَالُ: سَعِدَ فُلَانٌ كَمَا لَا يُقَالُ: شَقِيَ فُلَانٌ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا لَا يَتَعَدَّى. {عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٌ} [هود: ١٠٨] أَيْ غَيْرَ مَقْطُوعٍ، مِنْ جَدَّهُ يَجْدُهُ أَيْ قَطَعَهُ؛ قَالَ النَّابِغَةُ:

تَجْدُ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتُوقِدُ بِالصُّقَّاحِ نَارَ الْحُبَابِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَا تَكُ} [هود: ١٠٩] جَزْمٌ بِالنَّهْيِ؛ وَحُدِفَتِ النُّونُ لِكَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ."

كلها مجزومة؛ لأن الجزم إنما يكون بالنسبة كان يكون، قام يقوم. بأي شيء؟

طالب:.....

لاجتماع الساكنين، حذف حرف العلة، ويجتمع الساكنان.

"{فِي مَرِيَّةٍ} [هود: ١٠٩] أَيْ فِي شَكِّ. {مِمَّا يَعْبُدُ هَوْلَاءِ} [هود: ١٠٩] مِنَ الْآلِهَةِ أَنَّهَا بَاطِلٌ. وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا: أَيْ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِكُلِّ مَنْ شَكَّ لَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَوْلَاءِ أَنْ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَإِنَّمَا يَعْبُدُونَهَا كَمَا كَانَ آبَاؤُهُمْ يَفْعَلُونَ تَقْلِيدًا لَهُمْ."

{وَإِنَّا لَمَوْفُوهُم نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ} [هود: ١٠٩] فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: نَصِيبُهُمْ مِنْ الرِّزْقِ، قَالَهُ أَبُو الْعَالِيَةِ. الثَّانِي: نَصِيبُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ. الثَّلَاثُ: مَا وَعِدُوا بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-.

[هود: ١١٠] قَوْلُهُ تَعَالَى: **{وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ}** [هود: ١١٠] الْكَلِمَةُ: أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - حَكَمَ أَنْ يُؤَخِّرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِمَا عَلِمَ فِي ذَلِكَ مِنَ الصَّلَاحِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ أَجْلُهُمْ بِأَنْ يُثِيبَ الْمُؤْمِنَ وَيُعَاقِبَ الْكَافِرَ. قِيلَ: الْمُرَادُ بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي كِتَابِ مُوسَى، فَإِنَّهُمْ كَانُوا بَيْنَ مُصَدِّقٍ بِهِ وَمُكَذِّبٍ.

نعم، وهذا يدل عليه السياق، **{وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيَبٍ}** [هود: ١١٠] في الدنيا هؤلاء الذين اختلفوا في كتاب موسى.

"وَقِيلَ: بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ فِيكَ يَا مُحَمَّدُ بِتَعْجِيلِ الْعِقَابِ، وَلَكِنْ سَبَقَ الْحُكْمَ بِتَأْخِيرِ الْعِقَابِ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ **{وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيَبٍ}** [هود: ١١٠] إِنْ حُمِلَتْ عَلَى قَوْمِ مُوسَى؛ أَي لَفِي شَكٍّ مِنْ كِتَابِ مُوسَى فَهُمْ فِي شَكٍّ مِنَ الْقُرْآنِ".

نعم؛ لأن من شك في كتاب واحد من الكتب المنزلة فقد شك في الباقي، ومن أنكر نبياً أو رسالة رسول فقد كفر بالباقيين، فالحكم واحد.

" قَوْلُهُ تَعَالَى: **{وَإِنْ كُلاً لَمَّا لِيُوفِيْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ}** [هود: ١١١] أَي إِنْ كُلاً مِنَ الْأُمَّمِ الَّتِي عَدَدْنَا هُمْ يَرُونَ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ، فَكَذَلِكَ قَوْمُكَ يَا مُحَمَّدُ".

نعم، يرونه في الآخرة، المحسن والمسيء.

"وَاخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ **{وَإِنْ كُلاً لَمَّا}** [هود: ١١١] فَقَرَأَ أَهْلُ الْحَرَمِ - نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو بَكْرٍ مَعَهُمْ - "وَإِنْ كُلاً لَمَّا" بِالتَّخْفِيفِ، عَلَى أَنَّهَا "إِنْ" الْمُخَفَّفَةُ مِنَ التَّقْيِيلَةِ مُعْمَلَةٌ، وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْخَلِيلُ وَسَيبَوَيْهِ، قَالَ سَيبَوَيْهِ: حَدَّثَنَا مَنْ أَثْبَقَ بِهِ أَنَّهُ سَمِعَ الْعَرَبَ تَقُولُ: إِنْ زَيْدًا لَمُنْطَقٍ، وَأَشَدُّ قَوْلَ الشَّاعِرِ

كَأَنَّ ظَنِيَّةً تَعْطُو إِلَيَّ وَارِقِ السَّلْمِ"

لكن إن وأخواتها إذا خُففت قل العمل، يقل عملها، إن هذا لساحران، يقول ابن مالك: خُففت إن فقل العمل، يجوز إعمالها، ولكن إهمالها وعدم إعمالها أرجح.

"أَرَادَ كَأَنَّهَا ظَنِيَّةٌ فَخَفَّفَ وَنَصَبَ مَا بَعْدَهَا، وَالْبَصْرِيُّونَ يُجَوِّزُونَ تَخْفِيفَ إِنْ الْمُشَدَّدَةِ مَعَ إِعْمَالِهَا؛ وَأَنْكَرَ ذَلِكَ الْكِسَائِيُّ وَقَالَ: مَا أَدْرِي عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُرئَ "وَإِنْ كُلاً"! وَزَعَمَ الْقُرَّاءُ أَنَّهُ نَصَبَ كُلاً فِي قِرَاءَةِ مَنْ خَفَّفَ بِقَوْلِهِ: لِيُوفِيْنَهُمْ أَي وَإِنْ لِيُوفِيْنَهُمْ كُلاً، وَأَنْكَرَ ذَلِكَ جَمِيعُ النَّحْوِيِّينَ، وَقَالُوا: هَذَا مِنْ كَبِيرِ الْغَلَطِ، لَا يَجُوزُ عِنْدَ أَحَدٍ: زَيْدًا لِأَصْرِبَنَّهُ. وَشَدَّدَ الْبَاقُونَ إِنْ وَنَصَبُوا بِهَا كُلاً عَلَى أَصْلِهَا.

وَقَرَأَ عَاصِمٌ وَحَمْرَةَ وَابْنَ عَامِرٍ لَمَّا بِالتَّشْدِيدِ. وَخَفَّفَهَا الْبَاقُونَ عَلَى مَعْنَى: وَإِنَّ كُلًّا لِيُؤْفِقِينَهِمْ، جَعَلُوا "مَا" صِلَةً. وَقِيلَ: دَخَلَتْ لِتَفْصِلَ بَيْنَ اللَّامَيْنِ اللَّتَيْنِ تَتَلَقَّيَانِ الْقِسْمَ، وَكِلَاهُمَا مَفْتُوحٌ فَفُصِّلَ بَيْنَهُمَا بِ "مَا".

وَقَالَ الرَّجَّاجُ: لَامٌ "لَمَّا" لَامٌ "إِنَّ" وَ"مَا" زَائِدَةٌ مُؤَكَّدَةٌ، تَقُولُ: إِنَّ زَيْدًا لَمُنْطَلِقٌ، فَإِنَّ تَقْتَضِي أَنْ يَدْخُلَ عَلَى خَبَرِهَا أَوْ اسْمِهَا لَامٌ كَقَوْلِكَ: إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ، وَقَوْلُهُ: **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ}** وَاللَّامُ فِي لِيُؤْفِقِينَهِمْ هِيَ الَّتِي يُتَلَقَّى بِهَا الْقِسْمُ، وَتَدْخُلُ عَلَى الْفِعْلِ وَيَلْزِمُهَا النُّونُ الْمُشَدَّدَةُ أَوْ الْمُخَفَّفَةُ.

يعني نون التوكيد سواء كانت مخففة أو مشددة، واللام الداخلة على المتأخر من اسم إن، أو خبرها يسمونها ايش؟

طالب: المزحلقة.

المزحلقة، ويأتي بها للتوكيد، ويتعين معها كسر الهمزة.

"وَلَمَّا اجْتَمَعَتِ اللَّامَانِ فَصِلَ بَيْنَهُمَا بِ "مَا" وَ"مَا" زَائِدَةٌ مُؤَكَّدَةٌ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: "مَا" بِمَعْنَى "مَنْ" كَقَوْلِهِ: **{وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَئَنَّ}** [النساء: ٧٢] أَي وَإِنَّ كُلًّا لَمَنْ لِيُؤْفِقِينَهِمْ، وَاللَّامُ فِي لِيُؤْفِقِينَهِمْ لِلْقِسْمِ، وَهَذَا يَرْجِعُ مَعْنَاهُ إِلَى قَوْلِ الرَّجَّاجِ، غَيْرَ أَنَّ "مَا" عِنْدَ الرَّجَّاجِ زَائِدَةٌ وَعِنْدَ الْفَرَّاءِ اسْمٌ بِمَعْنَى "مَنْ". وَقِيلَ: لَيْسَتْ بِزَائِدَةٍ، بَلْ هِيَ اسْمٌ دَخَلَ عَلَيْهَا لَامٌ التَّأْكِيدِ، وَهِيَ خَبَرٌ "إِنَّ" وَ لِيُؤْفِقِينَهِمْ جَوَابُ الْقِسْمِ، التَّقْدِيرُ: وَإِنَّ كُلًّا خُلِقَ لِيُؤْفِقِينَهِمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ. وَقِيلَ: "مَا" بِمَعْنَى "مَنْ" كَقَوْلِهِ: **{فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ}** [النساء: ٣] أَي مَنْ، وَهَذَا كُلُّهُ هُوَ قَوْلُ الْفَرَّاءِ بِعَيْنِهِ. وَأَمَّا مَنْ شَدَّدَ لَمَّا وَقَرَأَ **{ وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا }** [هود: ١١١] بِالتَّشْدِيدِ فِيهِمَا - وَهُوَ حَمْرَةُ وَمَنْ وَافَّقَهُ - فَقِيلَ: إِنَّهُ لَحَنَّ، حُكِيَ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ.

من محمد بن يزيد؟ من يعرفه؟

طالب:.....

العباس؟

طالب: المبرد.

نعم.

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

نعم.

وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا (وَإِنْ كَلَّا خَلِقَ، لِيُؤْفِقِينَهِمْ رَبُّكَ) وَإِنَّ كُلًّا يَعْنِي كَلًّا مِنْهُمْ خَلِقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَاللَّهُ لِيُؤْفِقِينَهِمْ رَبُّكَ.

وأما من شدد لما وقرأ **"وَإِنَّ كُلاًّ لَمَّا** بالتشديد فيهما - وهو حمزةٌ ومن وافقه - فقيل: إنه لحن، حكى عن محمد بن زيد أن هذا لا يجوز. ولا يقال: إن زيدا إلا لأضربته، ولا لما لضربته. وقال الكسائي: الله أعلم بهذه القراءة، وما أعرف لها وجهها. وقال هو وأبو علي الفارسي: التشديد فيهما مشكل. قال النحاس وغيره: وللتحويين في ذلك أقوال: الأول: أن أصلها لمن ما فقلبت النون ميماً، واجتمعت ثلاث ميّات فحذفت الوسطى فصارت لما وما على هذا القول بمعنى من" تقيده: وإن كلاً لمن الذين، كقولهم:

وَإِنِّي لَمَّا أَصْدِرُ الْأَمْرَ وَجْهَهُ إِذَا هُوَ أَعْيَا بِالسَّبِيلِ مَصَادِرُهُ
وَرَيِّفَ الرَّجَاجِ هَذَا الْقَوْلِ، وَقَالَ: "مَنْ" اسْمٌ عَلَى حَرْفَيْنِ فَلَا يَجُوزُ حَذْفُهُ.

الثاني: أن الأصل لمن ما، فحذفت الميم المكسورة؛ لاجتماع الميمات، والتقدير: وإن كلاً لمن خلق ليؤفّقينهم. وقيل: "لما" مصدرٌ لم".

لم.

طالب:.....

لم يلم لما.

"وَجَاءَتْ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ حَمَلًا لِلْوَصْلِ عَلَى الْوَقْفِ".

نعم، كقوله: **{وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاتِ أَكْلاً لَمَّا}** .

"فَهِيَ عَلَى هَذَا كَقَوْلِهِ: **{وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاتِ أَكْلاً لَمَّا}** [الفجر: ١٩] أَي جَامِعًا لِلْمَالِ الْمَأْكُولِ، فَالتَّقْدِيرُ عَلَى هَذَا: وَإِنَّ كُلاًّ لِيُؤْفِقِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ تَوْفِيَةً لَمَّا، أَي جَامِعَةً لِأَعْمَالِهِمْ جَمْعًا، فَهُوَ كَقَوْلِكَ: قِيَامًا لِأَقْوَمَنْ. وَقَدْ قرأ الزهري لما بالتشديد والتنوين على هذا المعنى.

الثالث: أن "لما" بمعنى "إلا" حكى أهل اللغة: سألتك بالله لما فعلت، بمعنى إلا فعلت، ومثله قوله تعالى: **{إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ}** [الطارق: ٤] أَي إِلَّا عَلَيْهَا، فَمَعْنَى الْآيَةِ: مَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَّا لِيُؤْفِقِيَنَّهُمْ، قَالَ الْفُشَيْرِيُّ: وَرَيِّفَ الرَّجَاجِ هَذَا الْقَوْلُ بِأَنَّهُ لَا نَفْيَ لِقَوْلِهِ: **{وَإِنَّ كُلاًّ لَمَّا}** [هود: ١١١] حَتَّى تُقَدَّرَ "إِلَّا"، وَلَا يُقَالُ: ذَهَبَ النَّاسُ لَمَّا زَيْدٍ.

الرابع: الأصل وإن كلاً لما بتخفيف "لما" ثم نُقِلَتْ، كقوله:

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَرَى جَدًّا فِي عَامِنَا ذَا بَعْدَمَا أَخْصَبَا

وقول أبو إسحاق الزجاج: هذا خطأ.

قال.

"وقال أبو إسحاق الزجاج: هذا خطأ. إنما يخفف المثل، ولا يثقل المخفف.

الخامس: قال أبو عبيد القاسم بن سلام: يجوز أن يكون التشديد من قولهم: لَمَمْتُ الشَّيْءَ أَلْمُهُ لَمًا إِذَا جَمَعْتُهُ".
إذا جمعته.

"إذا جمعته، ثُمَّ بُنِيَ مِنْهُ فَعَلَى، كَمَا قُرِئَ **{ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى}** [المؤمنون: ٤٤] بِغَيْرِ تَنْوِينٍ وَبِتَنْوِينٍ. فَأَلْأَفُ عَلَى هَذَا لِلتَّأْنِيثِ، وَثَمَّالٌ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ لِأَصْحَابِ الْإِمَامَةِ، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: الْقَوْلُ الَّذِي لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ عِنْدِي أَنْ تَكُونَ مُحَقَّفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَتَكُونُ بِمَعْنَى "مَا" مِثْلُ: **{إِنْ كَلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ}** [الطارق: ٤]، وَكَذَا أَيْضًا تُشَدَّدُ عَلَى أَصْلِهَا، وَتَكُونُ بِمَعْنَى "مَا" وَ"لَمَّا" بِمَعْنَى "إِلَّا" حَتَّى ذَلِكَ الْخَلِيلِ وَسَيَّبُوهُ وَجَمِيعِ الْبَصْرِيِّينَ، وَأَنَّ "لَمَّا" يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى "إِلَّا".
قُلْتُ: هَذَا الْقَوْلُ الَّذِي ارْتَضَاهُ الرَّجَّاجُ حَكَاهُ عَنْهُ النَّحَّاسُ وَغَيْرُهُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُهُ وَتَضَعِيفُ الرَّجَّاجِ لَهُ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ الْقَوْلَ صَوَّابُهُ "إِنْ" فِيهِ نَافِيَةٌ، وَهُنَا مُحَقَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ فَافْتَرَقَا وَبَقِيَتْ قِرَاءَتَانِ.

الفرق بين النافية وبين المخففة من الثقيلة، النافية: **{وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به}**، والمخففة من الثقيلة: **{علم أن سيكون}**.

قال أبو حاتم: وفي حرف أبي: **"وإن كل إلا ليوفينهم"**، وروى عن الأعمش: **"وإن كل لَمَّا بِتَخْفِيفٍ" إِنْ "وَرَفَعِ "كُلُّ" وَبِتَشْدِيدِ "لَمَّا"**.

قال النَّحَّاسُ: وَهَذِهِ الْقِرَاءَاتُ الْمُخَالَفَةُ لِلسَّوَادِ تَكُونُ فِيهَا "إِنْ" بِمَعْنَى "مَا" لَا غَيْرَ، وَتَكُونُ عَلَى التَّفْسِيرِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقْرَأَ بِمَا خَالَفَ السَّوَادَ إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْجِهَةِ.

{إِنَّهُ بِمَا يَفْعَلُونَ خَبِيرٌ} [هود: ١١١] تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ.
قَوْلُهُ تَعَالَى: **{فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ}** [هود: ١١٢] الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَغَيْرِهِ".

لأنه معصوم، فلا يؤمر بالاستقامة. كيف يؤمر بالاستقامة وهو مستقيم؟ كيف يؤمر بطلب الهداية وهو مهتد؟ **{أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}** [الفاحة: ٦] إنما المراد الدوام والثبوت على هذه الهداية، مع أن الاستقامة درجات، والهداية درجات، فإذا أمر بالاستقامة يؤمر بتحصيل أعلى هذه الدرجات، وإذا أمر بالهداية يؤمر بأعلى درجات هذه الهداية، وإن كان على شيء من الهداية فيطلب ما هو أعلى منه، إن كان على درجة من الاستقامة يطلب أعلى من ذلك، فلا مانع من أن يؤمر بالاستقامة ويؤمر بطلب الهداية كائن من كان.

"وَقِيلَ: لَهُ وَالْمُرَادُ أَمْتُهُ؛ قَالَهُ السُّدِّيُّ. وَقِيلَ: "اسْتَقِمَّ" أَطْلُبُ الْإِقَامَةَ عَلَى الدِّينِ مِنَ اللَّهِ وَاسْأَلُهُ ذَلِكَ. فَتَكُونُ السِّينُ سَيْنَ السُّؤَالِ، كَمَا تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَطْلُبُ الْعُفْرَانَ مِنْهُ. وَالِاسْتِقَامَةُ الْإِسْتِمْرَارُ فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ غَيْرِ أَخْذٍ فِي جِهَةِ الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ؛ فَاسْتَقِمَّ عَلَى امْتِنَالِ أَمْرِ اللَّهِ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّخَعِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ

قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ ! قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمَّ» وَرَوَى الدَّارِمِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حَاضِرٍ الْأَزْدِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ أَوْصِنِي! فَقَالَ: نَعَمْ! عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالِاسْتِقَامَةِ، اتَّبِعْ وَلَا تَبْتَدِعْ».

في مسنده، عرفنا أن إدراج سنن الدارني في الأسانيد فيه ما فيه؛ لأنه سنن، وليس بمسند، ولذلك يقول: عده للدارني انتقد.

«وَمَنْ تَابَ مَعَكَ [هود: ١١٢] أَي اسْتَقِمَّ أَنْتَ وَهُمْ، يُرِيدُ أَصْحَابَهُ الَّذِينَ تَابُوا مِنَ الشِّرْكِ وَمَنْ بَعْدَهُ مِمَّنِ اتَّبَعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - آيَةٌ هِيَ أَشَدُّ وَلَا أَشَقُّ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ حِينَ قَالُوا لَهُ: لَقَدْ أَسْرَعَ إِلَيْكَ الشَّيْبُ! فَقَالَ: «شَيْبَتُنِي هُوْدٌ وَأَخَوَاتُهَا»».

نعم، منهم من قال: سبب شيبه صلى الله عليه وسلم - هي هذه الآية، **{فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ}** [هود: ١١٢] إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم - تُطلب منه الاستقامة فدل على أن الأمر عظيم، الرسول صلى الله عليه وسلم - تُطلب منه الاستقامة وهو مستقيم، فكيف بغيره من أفراد أمته وهو يزاول بعض المنكرات وبعض المعاصي، ولا شك أن مثل هذا أمر مخوف، فإذا طلبت منه صلى الله عليه وسلم - مع ما هو فيه صلى الله عليه وسلم - من تحصيل الاستقامة فغيره من باب أولى.

"وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ. وَرُوِيَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ السَّرِيِّ". السَّرِيِّ.

سمعت أبا علي السري يقول: رَأَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! رُوي عَنْكَ أَنَّكَ قُلْتَ: شَيْبَتُنِي هُوْدٌ. فَقَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا الَّذِي شَيْبَكَ مِنْهَا؟ قَصَصَ الْأَنْبِيَاءَ وَهَلَكَ الْأَمَمُ! فَقَالَ: لَا، وَلَكِنْ قَوْلُهُ: "فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ".

{وَلَا تَطْغَوْا} [هود: ١١٢] نَهَى عَنِ الطُّغْيَانِ، وَالطُّغْيَانُ مُجَاوِزَةٌ الْحَدِّ؛ وَمِنْهُ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ [هود: ١١٢]. وَقِيلَ: أَي لَا تَتَجَبَّرُوا عَلَى أَحَدٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: **{وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ} [هود: ١١٣]. فِيهِ أَرْبَعُ مَسَائِلَ:**

الأولى: قَوْلُهُ تَعَالَى: **{وَلَا تَرْكَبُوا}** الرُّكُوعُ حَقِيقَةُ الْإِسْتِنَادِ وَالْإِعْتِمَادِ وَالسُّكُونُ إِلَى الشَّيْءِ وَالرِّضَا بِهِ، قَالَ قَتَادَةُ: مَعْنَاهُ لَا تَوَدُّوهُمْ وَلَا تُطِيعُوهُمْ. ابْنُ جُرَيْجٍ: لَا تَمِيلُوا إِلَيْهِمْ. أَبُو الْعَالِيَةِ: لَا تَرْضُوا أَعْمَالَهُمْ، وَكُلُّهُ مُتَقَارِبٌ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الرُّكُوعُ هُنَا الْإِدْهَانُ، وَذَلِكَ أَلَّا يُنْكَرَ عَلَيْهِمْ كُفْرُهُمْ".

وكل هذا واقع، في واقع الأمة الآن، **{وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ}** [هود: ١١٣]. الركون واقع بجميع صورته، الاعتماد على الكفار

حاصل، والمودة والطاعة والتوجيهات حاصل، والميل إليهم مرة إلى الشرق، ومرة إلى الغرب هذا هو الواقع، ورضا أعمالهم وتفضيل حالهم على حال المسلمين هذا واقع من كثير من المسلمين، نسأل الله العافية.

الركون: الادهان، تجد الكفار يوفدون إلى بلاد المسلمين ما تقدم لهم كلمة نصيحة يدعون فيها إلى الله وإلى دين الله، ادهاناً ومداهنة لهم، ولا ينكر عليهم شيء من كفرهم، ولا يدعون إلى الله، وكل هذا من الركون إليهم، والله المستعان.

"الثَّانِيَّةُ: قَرَأَ الْجُمُهورُ: تَرَكُوا بَفَتْحِ الْكَافِ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو: هِيَ لُغَةٌ أَهْلِ الْحِجَازِ. وَقَرَأَ طَلْحَةُ بْنُ مَصْرِفٍ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا: "تَرَكُوا" بِضَمِّ الْكَافِ، قَالَ الْفَرَّاءُ: وَهِيَ لُغَةٌ تَمِيمٍ وَقَيْسٍ. وَجَوَّزَ قَوْمٌ رَكَنَ يَزْكُنُ مِثْلَ مَنْعَ يَمْنَعُ.

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: **{إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا}** قِيلَ: أَهْلُ الشَّرِكِ. وَقِيلَ: عَامَّةٌ فِيهِمْ وَفِي الْعَصَاةِ، عَلَى نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: **{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا}** الْآيَةُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ. وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ، وَأَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى هِجْرَانِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْمَعْاصِي مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ وَغَيْرِهِمْ؛ فَإِنَّ صُحْبَتَهُمْ كُفْرٌ أَوْ مَعْصِيَةٌ؛ إِذِ الصُّحْبَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا عَنِ مَوَدَّةٍ، وَقَدْ قَالَ حَكِيمٌ: عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَفْتَدِي

فَإِنْ كَانَتْ الصُّحْبَةُ عَنْ ضَرُورَةٍ وَتَقِيَّةٍ فَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِيهَا فِي "آلِ عِمْرَانَ" وَ"الْمَائِدَةِ". وَصُحْبَةُ الظَّالِمِ عَلَى التَّقِيَّةِ مُسْتَثْنَاةٌ مِنَ النَّهْيِ بِحَالِ الإِضْطِرَارِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

نعم مع الخوف منه، صحبته ومدارته خوفاً منه، هذا فيه رخصة، الشأن في وقت السعة، من يبحث عنهم في وقت الساعة، وكثير ممن عاش بينهم ورأى أحوالهم وطباعهم، وأعجب بهم، يتمنى أن يصل حال المسلمين إلى حالهم، هذا موجود بين المسلمين، نسأل الله العافية، الصحبة لا تكون إلا عن مودة، ولذا إذا كثرت الإمساس قل الإحساس، الذين يسكنون في بلاد الكفار سنين طويلة مثل هؤلاء لا ينكرون من أحوالهم شيئاً، بل بعضهم يبرر بعض أعمال الكفار، والله المستعان.

"الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: **{فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ}** أَي تُحْرِقُكُمْ بِمُخَالَطَتِهِمْ وَمُصَاحَبَتِهِمْ وَمَمَالَاتِهِمْ عَلَى إِعْرَاضِهِمْ وَمُؤَافَقَتِهِمْ فِي أُمُورِهِمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ}** [هود: ١١٤].

فِيهِ سِتُّ مَسَائِلَ:

الأُولَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ}** [هود: ١١٤] لَمْ يَخْتَلِفْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي أَنَّ الصَّلَاةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ يُرَادُ بِهَا الصَّلَوَاتُ الْمَفْرُوضَةُ؛ وَخَصَّهَا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهَا ثَانِيَةٌ الْإِيمَانِ".

يعني بعد الشهادتين، ثانية أركان الإسلام بعد الشهادتين.

«وَالْيَهَا يُفْرَعُ فِي النَّوَابِ؛ «وَكَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَرَعَ إِلَى الصَّلَاةِ»

وقال شيوخ الصوفية: إن المراد بهذه الآية استغراق الأوقات بالعبادة فرصاً ونفلاً.

طرفي النهار، هل معنى هذا أنك تصلي الطرف الأول تصلي والطرف الثاني وتترك الوسط، أو أن هذا تنبيه على استغراق جميع الوقت، وأن تكون مستغرقاً للعبادة من أول النهار من طرفه الأول إلى طرفه الثاني، على كل حال الواجب هو الفرائض وما عدا ذلك فهو.

«قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَهَذَا ضَعِيفٌ، فَإِنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَتَنَاوَلَ ذَلِكَ إِلَّا وَاجِبًا لَا نَفْلًا، فَإِنَّ الْأَوْزَادَ مَغْلُومَةً، وَأَوْقَاتِ النَّوَابِلِ الْمُرْعَبِ فِيهَا مَخْصُورَةٌ، وَمَا سِوَاهَا مِنَ الْأَوْقَاتِ يُسْتَنْزِلُ عَلَيْهَا النَّدْبُ عَلَى الْبَدَلِ لَا عَلَى الْعُمُومِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي قُوَّةِ بَشَرٍ الثَّانِيَّةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {طَرَفِي النَّهَارِ} [هود: ١١٤].»

نعم يُذكر عن بعض المتقدمين أنه يصلي في اليوم ألف ركعة، قد ذكر ذلك عن علي رضي الله عنه-، وشيخ الإسلام استنكر وقال: ليس بمقدور، والزمان لا يتسع لهذا المقدار، لو قدرنا الركعة بدقيقة واحدة، وقلنا: إن الوقت يصفو منه عشر ساعات إذا استثنينا منه النوم والأكل والشرب والصلاة المفروضة، يعني ستمائة دقيقة، يعني شيخ الإسلام يقول: الوقت لا يستوعب أبدًا.

طالب:.....

حتى لو لم يكن مشغولاً بأمر الأمور ما يجد وقتاً لهذا.

يعني يذكر عن الإمام أحمد ثلاثمائة ركعة، يعني ممكن تصير معقولة هذه، لكن ألف.

طالب:.....

المقصود أنه مهما نقل، شيء يعني الثلاثمائة إذا قلت: دقيقة ركعة ففيها نقر معروف، صلاة فيها الخشوع المطلوب، ثلاثمائة تحتاج إلى خمس ساعات على الأقل، ويروى عن الحافظ عبد الغني -رحمه الله- أنه يصلي الضحى ثلاثمائة ركعة، المقصود من ارتفاع الشمس إلى الزوال، انتهاء وقت النهي إلى دخول وقت النهي الثائب أكثر من خمس ساعات.

«{طَرَفِي النَّهَارِ} [هود: ١١٤] قَالَ مُجَاهِدٌ: الطَّرْفُ الْأَوَّلُ، صَلَاةُ الصُّبْحِ، وَالطَّرْفُ الثَّانِي صَلَاةُ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ. وَقِيلَ: الطَّرْفَانِ الصُّبْحُ وَالْمَغْرِبُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ. وَعَنِ الْحَسَنِ أَيْضًا الطَّرْفُ الثَّانِي الْعَصْرُ وَحَدَهُ، وَقَالَهُ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ. وَقِيلَ: الطَّرْفَانِ الظُّهْرُ وَالْعَصْرُ. وَالزُّلْفُ الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ وَالصُّبْحُ، كَأَنَّ هَذَا الْقَائِلَ رَاعَى جَهْرَ الْقِرَاءَةِ. وَحَكَى الْمَوَارِدِيُّ أَنَّ الطَّرْفَ الْأَوَّلَ صَلَاةُ الصُّبْحِ بِاتِّفَاقٍ.»

لا ينبغي أن يُخالف فيه، صلاة الصبح نهارية ليست ليلية.
"قُلْتُ: وَهَذَا الْإِتِّفَاقُ يَنْقُضُهُ الْقَوْلُ الَّذِي قَبْلَهُ".
ينقضه.

ينقضه القول الذي قبله".

يعني الطرفين الظهر والعصر.

"وَرَجَّحَ الطَّبْرِيُّ أَنَّ الطَّرْفَيْنِ الصُّبْحَ وَالْمَغْرِبَ، وَأَنَّهُ ظَاهِرٌ، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَرَدَّ عَلَيْهِ بِأَنَّ الْمَغْرِبَ لَا تَدْخُلُ فِيهِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ.

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَالْعَجَبُ مِنَ الطَّبْرِيِّ الَّذِي يَرَى أَنَّ طَرْفِي النَّهَارِ الصُّبْحَ وَالْمَغْرِبَ، وَهُمَا طَرْفَا اللَّيْلِ! فَقَلَبَ الْقَوْسَ رِكْوَةً، وَحَادَ عَنِ الْبُرْجَاسِ غَلْوَةً، قَالَ الطَّبْرِيُّ: وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ إِجْمَاعُ الْجَمِيعِ عَلَى أَنَّ أَحَدَ الطَّرْفَيْنِ الصُّبْحَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الطَّرْفَ الْآخَرَ الْمَغْرِبَ، وَلَمْ يُجْمِعْ مَعَهُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ.

قُلْتُ: هَذَا تَحَامُلٌ مِنَ ابْنِ الْعَرَبِيِّ فِي الرَّدِّ، وَأَنَّهُ لَمْ يُجْمِعْ مَعَهُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ، وَقَدْ ذَكَرْنَا عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّ الطَّرْفَ الْأَوَّلَ صَلَاةَ الصُّبْحِ، وَقَدْ وَقَعَ الْإِتِّفَاقُ -إِلَّا مَنْ شَدَّ- بِأَنَّ مَنْ أَكَلَ أَوْ جَامَعَ بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ مُتَعَمِّدًا أَنَّ يَوْمَهُ ذَلِكَ يَوْمٌ فَطُرَ، وَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَالْكَفَّارَةُ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا وَمَا بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنَ النَّهَارِ؛ فَدَلَّ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَهُ الطَّبْرِيُّ فِي الصُّبْحِ، وَتَبَقَّى عَلَيْهِ الْمَغْرِبُ وَالرَّدُّ عَلَيْهِ فِيهِ مَا تَقَدَّمَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ."

في حديث عائشة في القصر وما فرضت الصلاة ركعتين، فأقرت صلاة السفر وزيد في الحضر، إلا الصبح فإنها تطول فيها القراءة، وإلا المغرب فإنها وتر النهار، والصبح في طرف النهار الأول والمغرب وإن وقعت في الجزء الأول من الليل إلا أنها تعد في الطرف الثاني من النهار، ولذا جاء في الحديث والمغرب فإنها وتر النهار، فأضيفت إلى النهار ولو كانت في الليل باعتبار أنها ملاصقة لآخر جزء من النهار، فلعل ميل الطبري إلى شيء من هذا.

"الثالثة: قوله تعالى: **وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ** [هود: ١٤] أي في زلف من الليل، والزلف الساعات القريبة بعضها من بعض؛ ومنه سُمِّيَتْ الْمُزْدَلِفَةُ؛ لِأَنَّهَا مَنْزِلٌ بَعْدَ عُرْفَةِ بِقَرَبِ مَكَّةَ. وَقَرَأَ ابْنُ الْقَعْقَاعِ وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ وَعَظِيمُهُمَا "وَزُلْفًا" بِضَمِّ اللَّامِ جَمْعُ زَلِيفٍ؛ لِأَنَّهُ قَدْ نَطَقَ بِزَلِيفٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَاحِدُهُ "زُلْفَةً" لُغَةً؛ كَبُسْرَةٍ وَبُسْرٍ، فِي لُغَةٍ مَن صَمَّ السَّيْنِ. وَقَرَأَ ابْنُ مُحَيْصِنٍ: "وَزُلْفًا" مِنَ اللَّيْلِ بِاسْتِثْنَاءِ اللَّامِ، وَالْوَاحِدَةُ زُلْفَةٌ تُجْمَعُ جَمْعَ الْأَجْنَاسِ النَّيِّ هِيَ أَشْخَاصٌ كَدْرَةٌ وَدَرٌّ وَبَرَّةٌ وَبَرٌّ. وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ وَابْنُ مُحَيْصِنٍ أَيْضًا "زُلْفَى" مِثْلَ قُرْبَى. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ وَزُلْفًا بِفَتْحِ اللَّامِ كَعُرْفَةٍ وَعُرْفٍ.

قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الزُّلْفُ السَّاعَاتُ، وَاجِدْهَا زُلْفَةً. وَقَالَ قَوْمٌ: الزُّلْفَةُ أَوَّلُ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ بَعْدَ مَغِيبِ الشَّمْسِ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمُرَادُ بِزُلْفِ اللَّيْلِ صَلَاةَ الْعَتَمَةِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَقَالَ الْحَسَنُ: الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ. وَقِيلَ: الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ وَالصُّبْحُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: يَغْنِي صَلَاةَ اللَّيْلِ وَلَمْ يُعَيَّنْ.

زلفاً من الليل يعني في أي جزء من أجزائه تقع هذه الصلاة، ولذا يرى بعض أهل العلم أن الصلاة بين العشاءين من قيام الليل، بعد أن تصلي المغرب، من صلاة المغرب صلّى ما شئت ويكون أيضاً من قيام الليل، الأفضل في صلاة القيام الثلث الأخير، لكن من صلى بعد المغرب قام من الليل، من صلى عد العشاء قام من الليل، لأنه صلى في الليل هذا من قيام الليل.

طالب:.....

العصر، الظاهر.

"الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** {هود: ١١٤} ذَهَبَ جُمُهورُ الْمُتَأَوِّلِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - إِلَى أَنَّ الْحَسَنَاتِ هَاهُنَا هِيَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْحَسَنَاتُ قَوْلُ الرَّجُلِ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: وَهَذَا عَلَى جِهَةِ الْمَثَالِ فِي الْحَسَنَاتِ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ اللَّفْظَ عَامٌّ فِي الْحَسَنَاتِ خَاصٌّ فِي السَّيِّئَاتِ؛ لِقَوْلِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «**مَا اجْتَنِبْتَ الْكَبَائِرُ**»

الحسنات، ال هذه جنسية، فيشمل جميع الحسنات، أتبع السيئة الحسنة تمحها، فإذا عمل الشخص سيئة، ثم أتبعها بحسنة محتها، والصلوات الخمس ورمضان إلى رمضان والجمعة إلى الجمعة كفارات، ما اجتنبت الكبائر، فدل على أن الذنوب المكفرة هي الصغائر، وأما الكبائر فإنها لا تكفر إلا بالتوبة، وإن قال بعضهم: إن كان عنده الصغائر قليلة فقد يخفف من الكبائر، وقد يكفر بعضها كما يقول جمع من أهل العلم.

وقد يقول قائل: إذا كانت الصلوات الخمس كفارات، فماذا بقي للجمعة؟ وماذا بقي لرمضان؟ وماذا بقي لاجتناب الكبائر، اجتنبوا كبائر من تنهون عنه تكفر عنكم؟ ما دامت الصلوات الخمس تكفر فماذا عن الباقي؟

ولكن ما المراد بالصلوات الخمس التي تكفر الذنوب؟ وما المراد بالجمعة التي تكفر الذنوب؟ وما المقصود برمضان الذي يكفر الذنوب؟

طالب:.....

نعم الصلوات المقبولة، الصيام المقبول، الجمعة المقبولة التي ترتبت عليها آثارها، وثبت له أجرها، أما الصلاة التي لا يخرج المصلي منها إلا بعشرها، هذه ماذا تكفر له؟ هذه إن كفرت نفسها بفرقة.

رمضان الذي يُصام على وجه ناقص ما الذي يكفر من الذنوب؟ هذا إذا أجزأ وأسقط الطلب، فنعمة، لا يؤمر الإنسان بإعادته، ولا بإعادة الصلاة ما لم يرتكب شيئاً يخل بالصلاة ويترك بعض الشروط والأركان، ولكن الآثار مما تترتب على عمل كامل، وهذا ما يقرره شيخ الإسلام - رحمه الله - في مواضع أكثر، يجيء شخص غافل يقول: خلاص أنا ذنوبي كلها كفرت بالصلاة، أنت صلاتك فيها نظر، إن كفرت نفسها ففيها بركة، نعم هو لا يؤمر بإعادتها ولذا يقول تعالى: **{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}** [المائدة: ٢٧].

هل معنى هذا أن الفاسق إذا سلم من الصلاة يقول له: أعد صلاتك؛ لأن الله لا يتقبل إلا من المتقين؟

لا، مسقطه للطلب صحيحة مجزئة، لكن القبول الذي هو معنى الآثار المترتبة على هذه العبادة لا يوجد إلا لمن اتقى الله في عمله.

قُلْتُ: سَبَبُ النَّزُولِ يُعْضَدُ قَوْلُ الْجُمْهُورِ؛ نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، قِيلَ: هُوَ أَبُو الْيَسْرِ بْنِ عَمْرٍو. وَقِيلَ: اسْمُهُ عَبَّادٌ؛ خَلَا بِامْرَأَةٍ فَقَبَّلَهَا وَتَلَدَّدَ بِهَا فِيمَا دُونَ الْفَرْجِ. رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمْسَهَا وَأَنَا هَذَا فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ سَتَرَكِ اللَّهُ! لَوْ سَتَرْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ؛ فَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَيْئًا فَاِنْطَلَقَ الرَّجُلُ فَاتَّبَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَجُلًا فَدَعَا، فَتَلَا عَلَيْهِ: **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: هَذَا لَهُ خَاصَّةٌ؟ قَالَ: **«لَا بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً.** قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَخَرَجَ أَيْضًا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً حَرَامٍ فَأَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَسَأَلَهُ عَنْ كَفَّارَتِهَا فَنَزَلَتْ **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ}** [هود: ١١٤] فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلَيْ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: **«لَكَ وَلِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي».** قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.**

وَرَوَى عَنْ أَبِي الْيَسْرِ. قَالَ: أَتَيْتُ امْرَأَةً تَبْنَعُ تَمْرًا فُقِلْتُ: إِنَّ فِي الْبَيْتِ تَمْرًا أَطِيبَ مِنْ هَذَا، فَدَخَلْتُ مَعِيَ فِي الْبَيْتِ فَأَهْوَيْتُ إِلَيْهَا فَقَبَّلْتُهَا، فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: اسْتُرْ عَلَيَّ نَفْسِكَ وَتُبْ، وَلَا تُخْبِرْ أَحَدًا فَلَمْ أَضْبِرْ، فَأَتَيْتُ عُمَرَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: اسْتُرْ عَلَيَّ نَفْسِكَ وَتُبْ، وَلَا تُخْبِرْ أَحَدًا فَلَمْ أَضْبِرْ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: **«أَخْلَفْتَ غَايِبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا؟ حَتَّى تَمْنَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ إِلَّا تِلْكَ السَّاعَةَ، حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.**

قَالَ: وَأَطْرَقَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ}** [هود: ١١٤] قَالَ أَبُو

الْيُسْرِ: فَأَتَيْتُهُ فَقَرَأَهَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلِهَذَا خَاصَّةٌ أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةٌ؟ فَقَالَ: «بَلْ لِلنَّاسِ عَامَّةٌ». قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَقَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ ضَعْفُهُ وَكَيْعٌ وَغَيْرُهُ؛ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَعْرَضَ عَنْهُ، وَأُقِيمَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهَا نَزَلَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلَيْهِ بِالْآيَةِ فَدَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «أَشْهَدَتْ مَعَنَا الصَّلَاةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَذْهَبَ فَإِنَّهَا كَفَّارَةٌ لِمَا فَعَلْتَ». وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا تَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ لَهُ: قُمْ فَصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَخَرَجَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ فِي تَوَاوِيرِ الْأُصُولِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «لَمْ أَرْ شَيْئًا أَحْسَنَ طَلَبًا وَلَا أَسْرَعَ إِذْرَاكًا مِنْ حَسَنَةِ حَدِيثَةٍ لِذَنْبٍ قَدِيمٍ»، [إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ نِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ]{هُود: ١١٤}.

في مثل هذه القصة، قصة هذا الرجل، لما أتى لأبي بكر، فأمره بالستر على نفسه، وعمر كذلك، بالنسبة للستر على العصاة والمجرمين، فرق أن يأتي تائبًا مقدمًا نفسه لينفذ فيه حكم الله، وبين من يرتكب حكم الفجور مرارًا، ويتابع ويلاحق، ثم يؤمر بالستر عليه، لا، الله سبحانه وتعالى يقول: **لَوْلَا تَأَخُّذُكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشْهَدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**{النور: ٢}.

لأنه متى يرعوي العاصي؟ متى ينتبه الغافل المهمل لأهله وزوجه بنين وبنات؟ أمر الناس بالستر المطلق وغير المحدود، لا، لا بد من تنفيذ شرع الله على هؤلاء العصاة، لا بد من أطرهم على الحق، لا بد من إلزامهم بشرائع الإسلام.

وليس كل من مسك يستر عليه، متى تقوم الشرائع، متى تقام الحدود؟ من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، صحيح، لكن مسلم حصلت منه هفوة أو ذلة وجاء تائبًا يستر عليه ولا يفضح، لكن شخص كل يوم يمسك بسيارته يومًا امرأة، ويومًا حدث، ويومًا شاربًا، يومًا مروجًا، مثل هذا يستر عليه؟! يعيث في الأرض فسادًا ويستر عليه؟! مثل هذا يجب أن يكون عبرة لغيره.

ولذا عمر -رضي الله عنه- كان الحد على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- جلد أربعين وأبو بكر جلد أربعين وجاء وقت عمر، زاد الناس في الشر استشار الناس فاقتضى رأيهم أن يكون الحد ثمانين، زيد الحد من أجل ردع الناس.

عمر في مسألة الطلاق كانت الثلاث واحدة، فحسبها ثلاثًا عليهم للتكيل، جاء الحديث: **«إِذَا شَرِبَ الْخَمْرَ فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِذَا شَرِبَ فِي الرَّابِعَةِ -أَوْ قَالَ: فِي الْخَامِسَةِ- فَاقْتُلُوهُ»**. إذا كان الحد ما يردع يزداد فيه، وعلى الإمام أن يجتهد في مثل هذه الأمور، أما أن تظهر أصوات تطالب بالستر غير المحدود لمجرمين يزاولون المعاصي ليل نهار إذا أمسك في الشهر الواحد عشر مرات نستر عليه؟ هذا ليس بصحيح.

متى ترتدع المرأة إذا كانت تخرج اليوم وتركب مع ناس، ثم نستتر عليها، فبذمة من هذه الجرائم؟ الزوج الغافل متى يستيقظ؟ إذا قيل: يُستر على المرأة وتترك لا أبداً، هذا دعوة إلى إشاعة الفاحشة، دعوة مغلقة إلى إشاعة الفاحشة، لا بد من حد للناس، لا بد من أطرهم على الحق، والله المستعان.

"الخامسة: نلت الآية مع هذه الأحاديث على أن القبلة الحرام واللمس الحرام لا يجب فيهما الحد، وقد يستدل به".

وأنها أيضاً من الصغائر؛ لأنها لو كانت من الكبائر لاحتاجت إلى التوبة، ما لم يصر عليها، نقول هذا حارس مدرسة والبنات داخلات طالعات قبل، يقول: صغائر، كيف صغائر؟ مع الإصرار ما تصير صغائر، صحيح أم غير صحيح.

طالب: صحيح.

لكن مرة في العمر صغيرة، تكفرها الصلاة، لكن بالإصرار على هذه الصغائر تصير كبائر بلا شك.

طالب:.....

الإصرار معناه التكرار، مما يدل على عدم الاكتراث، يعني لا يُنظر إلى حجم المعصية لذاتها، يُنظر إلى قدر من عصى وهو الله سبحانه وتعالى.

طالب:.....

تصير كبائر.

طالب:.....

المحقرات هذه هي التي تهلك الناس. يستهينون بها حتى تقصم ظهورهم.

"على أن لا حد ولا أدب على الرجل".

لا حد يعني لا حد زنا، يعني الرجم لا يثبت ما لم يثبت الزنا بالشهادة وبينه معتبرة، ويحصل الاعتراف أو الحبل.

"على أن لا حد ولا أدب على الرجل والمرأة وإن وجد في ثوب واحد، وهو اختيار ابن المنذر؛ لأنه لما ذكر اختلاف العلماء في هذه المسألة ذكر هذا الحديث مشيراً إلى أنه لا يجب عليهما شيء".

"وسياتي ما للعلماء في هذا في النور إن شاء الله تعالى".

لا يجب عليهما شيء من الحدود المقدر، لا جلد إذا كانا بكرين، ولا رجم إذا كانا محصنين، وأما الحدود غير المقدر التي تعزرك فلا بد من التعزير لا سيما إذا كان الشخص إنما عثر عليه، وكان ممن عُرف بهذا الأمر.

السَّادِسَةُ: ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الصَّلَاةَ بِرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَقِيَامِهَا وَقِرَاءَتِهَا وَأَسْمَائِهَا فَقَالَ: **{أَقِمِ الصَّلَاةَ}** [الإسراء: ٧٨] الآية. وَقَالَ: **{أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ}** [الإسراء: ٧٨] الآية. وَقَالَ: **{فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ}** [الروم: ١٧]. وَقَالَ: **{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا}** [لق: ٣٩]، وَقَالَ: **{ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا}**. [الحج: ٧٧] وَقَالَ: **{وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}** [الحج: ٧٧]، وَقَالَ: **{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا}** [الأعراف: ٢٠٤] عَلَى مَا تَقَدَّمَ. وَقَالَ: **{وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا}** [الإسراء: ١١٠] أَيَّ بِقِرَاءَتِكَ، وَهَذَا كُلُّهُ مُجْمَلٌ أَجْمَلُهُ فِي كِتَابِهِ، وَأَحَالَ عَلَى نَبِيِّهِ فِي بَيَانِهِ، فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: **{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}** [النحل: ٤٤]، فَبَيَّنَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَوَاقِيتَ الصَّلَاةِ، وَعَدَدَ الرُّكْعَاتِ وَالسُّجُودَاتِ، وَصِفَةَ جَمِيعِ الصَّلَوَاتِ فَرُضِيهَا وَسُنَّيْهَا، وَمَا لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ إِلَّا بِهِ مِنَ الْفَرَائِضِ وَمَا يُسْتَحَبُّ فِيهَا مِنَ السُّنَنِ وَالْفَضَائِلِ، فَقَالَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: **«صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»**.

وَنَقَلَ ذَلِكَ عَنْهُ الْكَافَّةُ عَنِ الْكَافَّةِ، عَلَى مَا هُوَ مَعْلُومٌ، وَلَمْ يَمِتِ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى يَبَيِّنَ جَمِيعَ مَا بِالنَّاسِ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ؛ فَكَمَّلَ الدِّينَ، وَأَوْضَحَ السَّبِيلَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا}** [المائدة: ٣].
قَوْلُهُ تَعَالَى: **{ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ}** [هود: ١١٤] أَيُّ الْقُرْآنُ مَوْعِظَةٌ وَتَوْبَةٌ لِمَنِ اتَّعَظَ وَتَذَكَّرَ؛ وَخَصَّ الذَّاكِرِينَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمْ الْمُتَنَفِّعُونَ بِالذِّكْرِ. وَالذِّكْرُ مَصْدَرٌ جَاءَ بِأَلِفِ التَّائِيثِ".

بيان الصلاة وواجباتها وأركانها وسننها وأعدادها، وأعداد ركعاتها نقلت عن النبي ﷺ نقلاً قد لا يحصل به التواتر، المتواتر هو الذي يفيد القطع، يعني لو بحثت في دواوين السنة عن عدد ركعات صلاة المغرب أو عدد ركعات صلاة الظهر، نعم هي منقولة بالأسانيد الصحيحة، لكن هي منقولة بالتواتر الذي يصلح به القطع، بمعنى أنه لو قال: نصلي المغرب أربعاً بدل ثلاث أو اثنتين. ما فيها شيء متواتر، وهذه أمور تعم بها البال، ولا بد أن تنتقل نقلاً متواتراً، نقول: هي متواترة، وهناك ما يسمى بتواتر العمل والتوارث، وهذا نقله الكافة عن الكافة، بهذه الكيفية، تواتر عملي، فلا يحتاج محتج وقد وجد قبل كم سنة من يقول: إن عدد ركعات الصلوات ما فيها متواتر. نعم من أخبار الأحاد ما تفيد إلا الظن، والأوامر في الكتاب والسنة مطلقة، ما فيه أعداد بينة، نقول: لا، التواتر مفيد للعلم الضروري الذي يجد الإنسان نفسه مضطراً إلى التصديق به، فمن زاد أو نقص معتقداً جواز ذلك لا عن خطأ ولا نسيان فإنه يكفر، لو قال: صلاة المغرب أربع أو ثنتان يكفر.

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَاصْبِرْ أَي عَلَى الصَّلَاةِ، كَقَوْلِهِ: **{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا}** [طه: ١٣٢]، وَقِيلَ: الْمَعْنَى وَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى مَا تَلْقَى مِنَ الْأَدَى. **{فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}** [التوبة: ١٢٠] يَغْنِي الْمُصَلِّينَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: **{فَلَوْلَا كَانَ}** [هود: ١١٦] أَي فَهَلَا كَانَ **{مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ}** [هود: ١١٦] أَي مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي قَبْلَكُمْ **{أَوَلَوْ بَقِيَّةٌ}** [هود: ١١٦] أَي أَصْحَابُ طَاعَةٍ وَدِينٍ وَعَقْلٍ وَبَصَرٍ يَنْهَوْنَ قَوْمَهُمْ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ لِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْعُقُولِ وَأَرْأَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ، وَهَذَا تَوْبِيخٌ لِلْكَفَّارِ. وَقِيلَ: لَوْلَا هَاهُنَا لِلنَّفْيِ، أَي مَا كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ، كَقَوْلِهِ: **{فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ}** أَي مَا كَانَتْ. إِلَّا قَلِيلًا اسْتِثْنَاءً مُنْقَطِعٌ، أَي لَكِنْ قَلِيلًا. **{مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ}** نَهَوْنَا عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ. قِيلَ: هُمْ قَوْمُ يُونُسَ؛ لِقَوْلِهِ: **{إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ}** [يونس: ٩٨] وَقِيلَ: هُمْ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَهْلُ الْحَقِّ. **{وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا}** [هود: ١١٦] أَي أَشْرَكُوا وَعَصَوْا ".

السنة الإلهية أن من عصى الله حقت عليه كلمة العذاب، ولا ينفع الإيمان إذا رؤي العذاب، ولم يستثن من ذلك إلا قوم يونس، لما رأوا العذاب آمنوا فصرف عنهم، **{وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ}** [هود: ٨٣]، ما تطبق الأمة على مزاوله هذه المعاصي وهذه المنكرات، وتعلنها على الملأ من غير نكير، ويقولون: ما زلنا بخير.

لا، السنة الإلهية ماضية، وفي كل يوم وكل شهر وكل سنة، نسوا الكوارث والمصائب التي تحل بالمسلمين، والله يقول: **{وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ}** [هود: ٨٣]، لكن أين من يعتبر؟ أين من يتعظ؟ ما تغني الآيات والنذر؟ في مثل هذه الحالة الله إذا أراد شيئاً يسر له أسبابه، المسلمون على خوف وعلى وجل شديد من أن تحل بهم كارثة تعيدهم إلى شرعهم؛ وإلا فقد جربوا في حال الثراء وفي حال الغنى، طُلب منهم شكر النعم، وفيه إعراض وإدبار.

بل منهم من ابتلي وامتحن وعاد من بعد الامتحان أسوأ مما كان عليه قبل أن يمتحن، هذا دليل على موت القلوب، على مسخ القلوب الذي هو أشد من مسخ الأبدان، وإذا كان مرض القلوب وموتها ومسخها غير مؤثر، في مثل هذه الأوقات وهو موجود وحاصل، فجاءت الأدلة والأخبار أنه سوف يكون في آخر الزمان مسخ للأبدان، وليس الخبر هكذا، ومع ذلكم ذكر أهل العلم أن الرجلان يخرجان إلى المعصية فيمسخ أحدهما قرداً أو خنزيراً، ويستمر الآخر إلى المعصية. الكوارث التي حلت من حولنا **{وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ}** [هود: ٨٣]، ماذا استقدنا منها؟